جامعة محمد خيضر بسكرة

العلوم الإنسانية والاجتماعية

العلوم الاجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية

فلسفة

فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:

العابد فطيمة

يوم: 08/07/2021

مكانة الأخلاق في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي

لجنة المناقشة:

حمدي لكحل	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرف مقرر
علي تتيات	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس
محمد بن جلطي	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى:﴿ فاذكروني أذكركم واشكرو لي ولا تكفرون...﴾سورة البقرة، الأية 152.

الحمد لله ربي العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى أهله وأصحابه أجمعين أشكر الله عز وجل الذي وفقني في إنجاز هذا العمل بعد وقت طويل.

أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور" **حمدي لكحل** "، على ماقدمه لي من توجيهات وإرشادات، وعلى ماأبداه نحوي من رعاية علمية ورحابة، فإليه جزيل الشكر والتقدير.

كما يسرني أن أتقدم بالشكر والإمتنان إلى **أعضاء اللجنة المناقشة** على تفضلهم بمناقشة الرسالة، فإليهم جميعا فائق الإحترام والتقدير.

كما أتوجه بالشكر إلى الدكتور العابد ميهوب الذي لم يبخل عليا بالنصائح والإرشادات فإليه أسمى عبارت التقدير والإحترام. وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر والإحترام إلى جميع الأساتذة الذين أشرفوا على تكويني طيلة مشواري الجامعي.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى الينبوع الذي لايمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة سعيدة نصر أطال الله في عمرها .

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيئ من أجل دفعي في طريق النجاح الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بالحكمة والصبر إلى والدي زين العابدين أطال الله في عمره .

إلى كل أفراد أسرتي أخي صدر الدين وزوجته، أسماء، فهد، بثنينة وزوجها، إلى براعم أسرتي ليث وسبأ وغيث. حفظهم الله. وإلى كل من يحمل لقب العابد.

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح والإبداع إلى صديقاتي أحباء قلبي...

فطيمة

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
بسملة	
شكر وعرفان	
فهرس المحتويات	
مقدمة	أ- و
الفصل الأول: التكوين الفكري لمالك بن نبي	
تمهيد	7
المبحث الأول: المصادر الفكرية لمالك بن نبي	8
1-المطلب الأول: التكوين العربي الإسلامي	8
2-المطلب الثاني: التكوين الغربي	16
المبحث الثاني: الجانب الشخصي لمالك بن نبي	20
1-المطلب الأول: حياته ووفاته	20
2-المطلب الثاني: إسهاماته ومؤلفاته	22
خلاصة	28
الفصل الثاني: مسألة الحضارة والأخلاق عند مالك بن نبي	
تمهيد	30
المبحث الأول: معالم الحضارة عند مالك بن نبي	31
1-المطلب الأول: الحضارة عند مالك بن نبي	31
2-المطلب الثاني: معيقات بناء حضارة عند مالك بن نبي	40
المبحث الثاني: تصور مالك بن نبي لمفهوم الأخلاق	44
1-المطلب الأول: تطور مفهوم الأخلاق عبر العصور	44

2-المطلب الثاني: تعريف الأخلاق عند مالك بن نبي	47
خلاصة	50
الفصل الثالث: محورية الأخلاق في بناء المشروع الحضاري عند مالك بن نبي	
تمهيد	52
المبحث الأول: علاقة الأخلاق بالحضارة	53
1-المطلب الأول: علاقة الأخلاق بالتربية	53
2-المطلب الثاني: علاقة الأخلاق بالسياسة	56
3-المطلب الثالث: علاقة الأخلاق بالاقتصاد	61
المبحث الثاني: دور وأهمية الأخلاق في بناء المشروع الحضاري	65
1-المطلب الأول: مكانة الأخلاق في البناء الحضاري	65
2-المطلب الثاني: دور الأخلاق في البناء الحضاري	68
خلاصة	71
خاتمة	73
قائمة المصادر والمراجع	77
الملخص	78

مقدمة

مقدمـــة:

يقول الشاعر أحمد شوقي:

إنما الأخلاق الأمم ما بقيت ★ فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

شكَّلت الأخلاق مساراً هامًا في تطور الشعوب والأمم، فهي تمثل الركيزة الأساسية التي تقوم عليها البشرية جمعاء، والتي تعمل على ضبط سلوك الإنسان وتنضيمه، والتي اختص بها الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى لحمله أمانة القيم الأخلاقية.

ولقد أثارت الأخلاق جدلاً واسعًا بين الناس، وتعد من الإشكاليات التي إرتبط مفهومها بالفكر الفلسفي، حتى أصبحت مبحثًا فرعيًا من مباحث الفلسفة وإحدى أنساق الفلاسفة، كما ارتبط وجودها مع نزول الأديان، وهنا نقتصر الحديث عن الدين الإسلامي، باعتباره دين الخلق والمعاملات، فالأخلاق تستمد مشاربها من روح الإسلام، هذا ما تقره النُّصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي لا تخلو من تناول موضوع القيم الأخلاقية، إذ تُعتبر جوهر قيام الحضارة الإسلامية أعظم الحضارات الإنسانية، تحمل رسالة عالمية في الأفق.

هذه الحضارة التي غاب بريقها وانطفأ نجمها، أصبحت تُحي اليوم مرحلة حرجة من مراحل التاريخ، وتعيش في ذات الوقت واقعًا مريرًا من انحلال أخلاقي وذل واستكانة، ترضخ لما يمليه عليها الطرف الآخر، هذا مادفع المفكِّرين وغيرهم إلى تقديم حلول لتغيير حال الأمة.

ومالك بن نبي رحمه الله من أبرز المفكرين الذين شغلتهم قضية الأمة ومشكلاتها ورهن نفسه وقلمه لخدمتها ورسم منهجًا للتعامل مع الواقع الذي خضع له المسلمون من خلال الإصلاح النهضوي في جميع المجالات.

والخلفية التي استند عليها مالك بن نبي هي محاولة إبراز الأثر والمكانة التي تحتلها الأخلاق في عملية التغيير الحضاري، لأنه لايمكن لأي حضارة أن تبرز إلى التاريخ دون أن تستمد دعامتها من القيم الأخلاقية المتجذرة من الدين.

1) إشكالية الدراسة:

إنَّ التراجع الذي حل بالأمة الإسلامية قد أفقدها شيئًا من هيبتها وعزتها، واختلفت الأمة في أهوائها، فصارت ألعوبةً للأعداء، واليوم تسعى للخروج من هذا الواقع من خلال البحث عن مكامن الجمود والتخلف إلى أفاق النهوض، والمشروع النهوض الحضاري عند مالك بن نبي ينطلق من الأخلاق التي تعد الشريان النابض للتطور الحضاري، ومن هنا فالإشكالية التي تستوقفنا وتدفعنا للإجابة عنها هي: ما مكانة الأخلاق ضمن مشروع النهوض الحضاري عند مالك بن نبي؟.

وهذه الإشكالية تتفرع عنها تساؤلات فرعية هي:

- من هو مالك بن نبي؟ وماهي أبرز الظروف التي أدَّت إلى تكوينه، وفيما تتمثل أهم مؤلفاته؟.
- كيف حدَّد مالك بن نبي مفهوم الحضارة؟ وكيف نظَّر للأخلاق؟.
- هل تعدُّ الأخلاق شرطًا ضمن دوافع النهوض الحضاري؟ وهل يمكن أن تكون الأخلاق منتجًا من منتجات الحضارة؟.
- ما المكانة التي تلعبها الأخلاق في بناء المشروع الحضاري، وما دور ذلك؟.

2) أسباب إختيار الدراسة:

ومن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع نذكر منها:

الأسباب الذاتية:

- شغفي بأفكار مالك بن نبي، هذا المفكر الذي مازال يجهله الكثير من أبناء جيلنا بسبب التهميش الذي لقيته هذه الشخصية في بلاده الجزائر بسبب تحرره من أي إنتماءات.
- نجد في فكره الكثير من الحلول والعجيب في ذلك أنك حينما تقرأ كتاباته تظن أنه يتحدث عن زماننا هذا بأدق تفاصيله.

الأسباب الموضوعية:

- محاولة إيجاد حلول لواقع الأمة الإسلامية وماتعيشه من انحلال أخلاقي وتراجع في القيم والمبادئ مما إستدعى الوقوف على ذلك.
- نقص موضوع الأخلاق في الدراسات التي تناولت فكر مالك بن نبي وطغيان موضيع ذات علاقة بالثقافة والتربية وهو الذي دفع بي لاختيار الموضوع.

3) خطة الدراسة:

وللإجابة على إشكالية الموضوع اتبعت الخطة التالية:

- بداية مع **المقدمة** تمهد للموضوع وأهميته وأسباب إختياره .....
- **الفصل الأول** تحت عنوان **التكوين الفكري لمالك بن نبي** والذي يتكون من مبحثين: **المبحث الأول:** المصادر الفكرية لمالك بن نبي و**المبحث الثاني:** الجانب الشخصي لمالك بن نبي.
- **الفصل الثاني** وعنوانه: **مسألة الحضارة والأخلاق عند مالك بن نبي** وهو الآخر احتوى على مبحثين: **المبحث الأول:** المعالم الحضارة عند مالك بن نبي و**المبحث الثاني:** تصور مالك بن نبي لمفهوم الأخلاق.
- **الفصل الثالث** تحت عنوان: **محورية الأخلاق في بناء المشروع الحضاري عند مالك بن نبي** والذي يتضمن مبحثين: **المبحث الأول:** علاقة الأخلاق بالحضارة و**المبحث الثاني:** مكانة ودور الأخلاق في البناء الحضاري.

  وفي نهاية كل فصل من الفصول تطرقت لتلخيص أهم النقاط، وختمت هذا الموضوع بخاتمة تبرز أهم النتائج التي توصلت إليها.

4) المنهج الدراسة:

وللسير في هذه الخطة اتبعت المناهج التالية:

المنهج التاريخي التحليلي وذلك بتحليل أهم أفكار مالك بن نبي المتعلقة بموضوع البحث باعتبار أنَّ أسلوبه يتميز بالدقة والجمال وطغى عليه الغموض واللبس، و**المنهج التاريخي** وذلك من خلال تقديمه لبعض الإستشهادات والحقائق التاريخية.

5) **أهداف الدراسة:**

إن إنجازي لهذا البحث استدعى الوقوغ على أهم الأهداف، حاولت أن أحققها وهي كالتالي:

- تسليط الضوء على مكانة مالك بن نبي في حقل الفكر الإسلامي والعربي.
- كشف عن دوافع النهوض الحضاري عند مالك بن نبي من منظور أخلاقي.
- توضيح وجهة نظر مالك بن نبي حول الأخلاق وإبراز مكانتها كعامل لقيام المشروع النهوض الحضاري.

6) الدراسات السابقة:

بطبيعة الحال موضوعي هذا تناوله بعض الباحثين، لكنهم لم يستفيضوا فيه بالقدر الكافي بحيث لم أجد دراسة تتناول عنوان موضوعي إلاَّ أنّي وجدت بعض الدراسات سهلت لي مهمة الأخذ منها:

- **الدراسة الأولى:** كتاب مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي لـ: أمنة تشيكو- المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، الجزائر تلخصت نتائج الكتاب في:
  - مالك بن نبي وبالرغم من تأثره بتوينبي يبقى هناك اختلاف كبير بينهما حول نظرية الحضارة.
  - أن الفكرة المسيطرة على نظريته هي الدين، فالحضارات منذ نشوئها إلى سقوطها تسيرها الفكرة الدينية أو الأخلاقية.
  - نجد أن مالك يستشهد بالتجارب العلمية في نظريته، أما توينبي فيستشهد بالأحداث التاريخية فقط.
- **الدراسة الثانية:** قام بها العابد ميهوب، مذكرة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع والتربية بجامعة محمد خيضر بسكرة 2014/2013.

قامت إشكالية بحثه حول ماهي القضايا التربوية التي طرحها مالك بن نبي في كتاباته والتي شكلت أغلبها فكره التربوي؟ وقد اعتمد الباحث على المنهج التحليلي والإستنباطي، أما النتائج التي إستخلصها:

- يوكد الباحث على مركزية نظرية الدورة الحضارية في المشروع التربوي عند مالك بن نبي.
- انضباط المشرع الحضاري عنده بخطوات منهجية دقيقة وصارمة وواضحة الأبعاد والخطوات.
- وجود صلة قوية بين الأخلاق والحضارة وكان لابد من توظيف القيم الأخلاقية لبناء الحضاري.

7) مرجعية الدراسة:

حاولت قدر المستطاع أن تكون مرجعية الدراسة ثرية ومتنوعة من أجل الإحاطة بالموضوع والإلمام به، فقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أذكر منها:

❖ **المصادر:**

- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن.
- مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين.
- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصابور شاهين.

❖ **المراجع:**

- عبد الحميد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره.
- الأخضر شريط، مشكلة التاريخ في الحركة التاريخية وتفسير التطور الحضاري عند مالك بن نبي.
- بودقزدام عمران، التجديد في المشروع النهضوي عند مالك بن نبي.

8) صعوبات الدراسة:

ولعل أهم الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا البحث هي كالتالي:

- لم يتناول مالك بن نبي فكرة الأخلاق كدراسة متفردة بل جاءت متفرقة في الكثير من مؤلفاته هذا ما صعب مهمة البحث وتطلب الكثير من الجهد والوقت.
- قلة الدراسات المدروسة حول فكرة الأخلاق عند مالك بن نبي.
- بسبب وباء كورونا تعطلنا عن الحركة ولم نستطع التنقل إلى الجامعات والمكتبات.

بالرغم من ذلك حاولت قدر المستطاع مواجهة هذه العوائق وتجاوزها محاولة إنجاز هذا البحث على أكمل وجه.

الفصل الأول

الخلفية الفكرية لمالك بن نبي

❖تمهيد

المبحث الأول: التكوين الفكري لمالك بن نبي

✓ المطلب الأول: التكوين العربي الإسلامي

✓ المطلب الثاني: التكوين الغربي

المبحث الثاني: الجانب الشخصي لمالك بن نبي

✓ المطلب الأول: حياته ووفاته

✓ المطلب الثاني: إسهاماته ومؤلفاته

❖خلاصة

تمهيـــد:

يعتبرُ مالكُ بن نبي أحد أعمدة المفكريين في العالم الإسلامي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصَّة، كما يعدُّ من المفكِّرين الذين عالجوا مشكلات الحضارة والواقع الإسلامي، وذالك من خلال تقديم رؤية شاملة ومتكاملة.

ولأنَّ حياة مالك بن نبي وكذلك التنشئة التي ترعرع فيها جزءٌ من مساره الفكري، فإنَّنا سنحاول في هذا الفصل التعرُّف على أهم المحطَّات الفكرية التي ساهمت في تكوينه وإبداعه الفكري من خلال أخذه لثقافتين مختلفتين، وتعرُّفه على شخصيات أثَّرت في زاده المعرفي.

كما سنعرج على سرد حياته ونشأته وتعليمه، والأهم من ذلك نتعرّف على إسهاماته وأهمِّ مؤلفاته، وتعدُّ "**مذكرات شاهد للقرن**" المصدر الوحيد الذي يحكي سيرته بأدق تفاصيلها.

المبحث الأول: المصادر الفكرية لمالك بن نبي

حاولتُ في هذا المبحث التطرق إلى أهم المصادر الفكرية لمالك بن نبي والتي أسهمت في صقل شخصيته من خلال تضافر العديد من العوامل شكَّلت من خلالها نسقه الفكري وكانت لها الفضل في وصوله إلى مرحلة النُّضج والعطاء والمعرفة، يمكن الإلمام بها على النَّحو التالي:

المطلب الأول: التكوين العربي الإسلامي

1/ القرآن الكريم:

والذي يعدُّ من أهم المصادر التي شكَّلت شخصيته، هذا غير أثره العظيم في تزكية نفسه واستقامته حيث يمثل الإشراقة الكبرى في فكره، لذلك نجده دائما يقتبس من القرآن الكريم في جميع مؤلفاته، خاصّة ذكره لرمز التغيير في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]، من خلال هذه الأية نجد أنَّ مالك بن نبي ينادى المجتمعات الإسلامية للنهوض من واقع التخلف الذي تعيشه، والتغيير في جميع المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والأهم من هذا هو تغيير ما في النفوس، " لأن التغيير الحقيقي في المجتمع لا يُتصور دون تغيير ملائمٍ في النفوس طبقا للقانون "[2].

2/السنة النبوية:

نجد أنَّ مالك بن نبي مقتدٍ بمعرفة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ومتتبعًا لها، من خلال الاستدلال بالأحاديث النَّبوية في أمهات كتبه، مستدلاً عن ذلك لقولهﷺ "يأيها الناس إن ربكم واحد. وإنَّ أباكم واحد. كلكم لآدم وآدم من تراب. إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي

1 –القرآن الكريم، **سورة الرعد**، الآية 11.

2 –مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، دار الفكر، ط1، 2002، سوريا، ص148.

على عجمي ولا لعجمي على عربي فضلٌ إلاَّ بالتقوى..."[1] يكمن مسرد الحديث في أنَّ العدل بين النَّاس من أعظم المبادئ، فلا فضل لأحدٍ على أحد إلاَّ بحسن العمل والتقوى لا تفاخر بالأنساب والأحساب، حيثُ يعتبر مالكُ بن نبي هذه التوجيهات بمثابة "الوصية الروحية التي خلَّفها الرسول ﷺ لمن يأتي بعده من أجيال المسلمين"[2]

3/البيئة العائلية:

نشأ مالك بن نبي في أسرةٍ مسلمة محافظة على دينها ومبادئها، غرست في مالك بذور الصَّلاح والخير ودرء الشَّر، ودفعت به إلى طريق العلم، فكانت أُولى بذور فكره هي جدته الحاجة زليخة، التي تعدُّ المدرسة الأولى التي كوَّنت مدركات فكره مستعملةً معه أسلوب الأحاجي وسرد القصص، "فكانت هذه مدرستي الأولى فيها تكونت مدركاتي"[3]، وما لفت انتباههُ من خلال قصصها تركيزُها على فكرة الصَّدقة والعمل الصَّالح الذي سينال قائمهُ على الثَّواب والمغفرة، والعمل الطَّالح وما يتبعه من السَّيئات والعقاب. كانت هذه القصص الورعة تعمل على صقل مدركاته وتنمّي ذاته، ومن هنا نجد مالك بن نبي يقول: "فمنها عرفنا أنَّ الإحسان في المرتبة العليا من الخلُق الإسلامي...وفي ظهيرة يوم الجمعة أخذتُ نصيبي من الرفيس وأخذت أقضمه بنهمٍ ولذَّه، وفجأة سمعت بباب الدار سائلاً ينادي (أعطوني من مال الله) ولم أكن أكلت فطيرتي أكثر من النصف ومع ذلك بادرت بإعطائها له عندما تذكرت واحدة من حكايات جدتي عن الإحسان وثوابه"[4]، من خلال قوله نجد أنَّ جدته رسَّخت فيه المعالم الأولى للقيم الحسنة والفضائل الأخلاقية الرفيعة.

---

1 – مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ص152.

2–المصدر نفسه، ص151.

3– مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، دار الفكر، ط2، 1970، دمشق، ص16.

4 – المصدر نفسه، ص19.

ولقد كان فضل والديه عليه بالكبير، حيث نراه يقول في إهداء كتابه الظاهرة القرآنية "إلى روح أمي: إلى روح أبي: الوالدان اللذان قدما لي في المهد أثمن الهدايا: هدية الإيمان"[1] نرى بأنهما حرصا على توجيهه الوجهة الصحيحة، فقد زرعا فيه حب الوطن، فالأب الذي فرض هيبته واحترامه في المنزل وكانت طريقته في التربية تأخذ طابع العنف، حيث يلجأ إلى الضرب لتقويم اعوجاج إبنه[2] أمَّا والدته فكان فضلها عليه بالأكبر، خاصَّة ماكانت تفعله كي تواجه الفقر الذي عانته الأسرة، ممَّا جعلها تمتهنُ عدَّة مهنْ منها الخياطة، في هذا يقول مالك بن نبي "ولا أزال أذكر كيف أنَّها اضطرَّت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولّى تدريسي بدل المال سريرها الخاص"[3].

أمَّا بالنسبة للبيئة التي عاش في مالك بن نبي في الجزائر فقد كانت في كلٍّ من تبسة وقسنطينة، ممَّا أتاحت له الفرصة للموازنة بين مجتمعين، فكان يرى في تبسة لا تزال أقرب إلى فطرة البداوة على عكس قسنطينة الذي كان يرى فيها أنها قطعت شوطا من التحضر، ممَّا جعله متمسكا بين الأصالة والمعاصرة في آن واحد.

4/تأثير المعلمين العرب:

أ/ الشيخ عبد المجيد:

هو مدرِّس في معهد التكوين للمعلمين، درس عنده مالك بن نبي بسبب التوجيه الذي أرادته عائلته له وهو أن يصبح عدلا في الشرع الإسلامي، تلقى عنده دروس في قواعد اللغة العربية والنَّحو والصَّرف والشِّعر، وفي سنة 1920 أخذ أول دروسه في أسس الثقافة العربية، يقول مالك بن نبي "لقد تعلمتُ تصاريف الأفعال والتمييز بينهما وحفظت شيئا من الشعر"[4].

---

1 – مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دط، 1980، دمشق، ص8.

2 – عبد الله حمد بن حمد العويسي، **مالك بن نبي حياته وفكره**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2002، بيروت، ص144

3 – مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن** ، المصدر السابق، ص19.

4– المصدر نفسه، ص51.

بالإضافة إلى هذا فإنَّ الشيخ عبد المجيد كان يزرعُ في نفوس تلاميذه كره كل التقاليد السائدة في المجتمعات الإسلامية كالصوفية وغيرها، هذا غير تجاوزات الإدارة الفرنسية، وقد عبَّر عن ذلك مالكُ بن نبي بقوله "سرعان ما أدركنا عداءه لبعض التقاليد السائدة في المجتمع الإسلامي وكراهيته لتجاوزات الإدارة الفرنسية في تصرفاتها"[1]، كان بذلك غارسًا لمريدونه حاسة النقد وعدم تقبل الأفكار دون تمحيص وكان الطلبة يفضِّلون الحديث في هذا الموضوع على دروسه في النحو[2].

ب/الشيخ مولود بن موهوب:

هو أستاذ التوحيد ومفتي في مدينة قسنطينة، كان له دورٌ كبير في غرس حب الحركة الإصلاحية وجذب تلاميذه إلى خطِّها في هذا يقول مالك "وقد تولَّى هو نقل هذه الغرسة إلى الأجيال من مدرسين وكنت منهم، وقد أينعت ثمارها في الحركة الإصلاحية الناشئة في الجزائر"[3].

ج/ الشيخ بن العابد:

هو أستاذ الشَّريعة الإسلامية في معهد التكوين للمعلمين، أخذ عنده دروس في الفقه، مكَّنه من اجتناب الوقوع في فخِّ الفكر الغربي ومغرياته.

فضلاً عن تأثير هؤلاء المعلمين عليه، كان دور رجال الحركة الإصلاحية تأثير ليس بالهَيِن طيلة مكوثه في قسنطينة أينما كان يلتقي بتلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس[4] حيث

---

1 – مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، المصدر السابق، ص48.

2 –عبد الله بن حمد العويسي ، **مالك بن نبي حياته وفكره** ، مرجع السابق، ص 152.

3 –مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، المصدر السابق، ص 64.

4 –**عبد الحميد بن باديس:** مفكر عربي نهظوي أسس حركة الإصلاح الديني في الجزائر حصل على دروسه في جامع الزيتونة أسس مجلة المنتقد التي أوقفتها السلطات الفرنسية، ثم أسس بعدها مجلة الشهاب التي تصدر شهريا إتخذها منبرا لنشر أفكاره الإصلاحية . للمزيد أنظر ،روني ألفا: **موسوعة أعلام فلسفة العرب والأجانب**،ج1 ،دار الكتب العلمية، 1992، بيروت ،ص12.

يقول " لقد شعرت بأنّي وهؤلاء في اتجاهٍ فكريٍّ واحد، وتعرُّفي على بعض تلامذته جعلني أدرك أنَّنا ننتمي إلى عائلة فكرية واحدة"[1].

5/القراءات العربية:

لقد كانت لإطِّلاعات مالك بن نبي المتنوعة للكتابات العربية ثراءً لفكره، من بين هذه القراءات، كان كتاب الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق لأحمد رضا، ورسالة **التوحيد للشيخ محمد عبده**[2]، **وكتاب أمُّ القرى لعبد الرحمان الكواكبي**[3]، **ترك له أثرٌ بالغٌ** حيث يقول: "أمَّا كتاب أمِّ القرى فقد عرَّفني بإسلامٍ بدأ ينظِّم صفوفه ليدافع عن نفسه ويقوم بحركة بعثٍ جديدة، إنَّه كتابٌ خيالي لكنَّه معبِّرٌ يحمل شعورًا بدأ يعتدل في العالم الإسلامي على الأقل في بعض الأنفس كالكواكب"[4]

كذلك تأثَّر مالكُ بن نبي بكتاب المقدِّمة لإبن خلدون[5] ومروج الذَّهب للمسعودي، وكتب النظرات والعبَرات للمنفلوطي[6]، شكَّلت أثرًا بالغًا في نفسية مالك بن نبي وتكوين فكره مستقبلاً.

---

1 –مالك بن نبي، المصدر السابق، ص74.

2–**محمد عبده:** 1905/1849محمد عبده بن حسن خير الله من آل تركماني، مفتي ديار المصرية ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام تعلم بالجامع الأحمدي ثم بأزهر، وتعلم التصوف والتفلسفأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة العروى، رسالة التوحيد.للمزيد أنظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج6، دار العلم للملاين، ط15، 2002، بيروت، ص252.

3– **عبد الرحمان الكواكبي1854/**1902هو عبد الرحمان بن أحمد بن مسعود الكواكبي، ولد ونشأ في حلب وإستقر في القاهرة و للكواكبي له كتب متعددة لكنه معروف بكتبين هما طبائع الإستبداد و أم القرى.للمزيد أنظر: نقولا زيادة أ**علام العرب المحدثون**، دار أهلية، دط، 1994، بيروت ، ص89.

4 –مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 88.

5 –**إبن خلدون1406/1332:** هو عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، درس اللغة والقرآن والفقه، تعتبر مقدمة التي وضعها لكتاب العبر دائرة معارف عقلية وفنية وتاريخية ولغوية وفلسفية توفي إبن خلدون في القاهرة ..للمزيد أنظر: روني ألفا، موسوعة أعلام فلسفة العرب والأجانب، المرجع السابق، ص20.

6 –**المنفلوطي:** هو مصطفى لطفي المنفلوطي أديب مصري من أم تركية قام بالكثير من الترجمات والإقتباسات من الروايات الغربية الشهيرة بأسلوب أدبي، وكتابيه النظرات والعبارات يعتبران أبلغ ما كتب في العصر الحديث...للمزيد أنظر: وردة

6/المناقشات باللغة العربية:

كانت للمناقشات والحوارات التي خاضها مالكُ بن نبي مع بعض الشَّخصيات شأنٌ في إثراء زاده المعرفي من خلال اكتساب معارفٍ جديدة وآراء مختلفة، ومن هذه المناقشات:

أ/مناقشات مقهى بن يمينة:

هو الذي كان ملتقى النُخب لتبادل الأفكار والنقاشات الفكرية والسياسية حول أوضاع البلد، ونقد المستعمر، فقد كان مقهى بن يمينة الفضاء التي تفتقت قرائح مفكرنا مالك بن نبي الذي ألف النزول فيها وكان يطلق عليه شارع الفكر لأنَّ هذا الشارع كان يضم في طرفٍ منه مقهى بن يمينة وطرفٌ آخر مطبعة الشِّهاب ويتوسَّطه مكتب الشَّيخ عبد الحميد بن باديس[1]. إذ كان قبلةً للنقاشات التي تتخلُّلها آراء حادّة بين تيار الفكر الباديسي وتيار المدرسة الغربية، كانت الغذاء الفكري لمالك بن نبي فقد ذكر مالك ذلك بقوله: " يملك ما تتعطش إليه تلك العقول المتمعة في مقهى بن يمينة الباحثة عن الجديد سواءً في السياسة أو الأدب أو الأخبار العادية"[2].

ب/ مناقشات حمودة بن ساعي:

هذه الشَّخصية أتاحت له الفرصة لتطوير معارفه، كان يرى بأنَّ أفكاره وأفكار حمودة بن ساعي جِدُّ متقاربة فكلاهما أخذا على عاتقهما حمل أفكارٍ تتعلق بنهوض الشُّعوب الإسلامية، كان محور النقشات التي دارت بينهما "حول محور الإسلام، الأمر الذي جعله يستفيد كثيرًا من خبرة صديقه وسعة اطلاعه في الموضوع، لأنَّه قلَّما كان يغيب عنه الأمر في الميدان الذي يُعنى به معهد الدراسات الإسلامية"[3].

بلطرش، **البعد الإنساني في أدب المنفلوطي العبرات أنموذجا**، مذكرة ماستر في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2015/2014، ص42.

1 –العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، رسالة دكتراه في علم الإجتماع، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014/2013، ص79.

2 –مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، ص110.

3 - مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، ص252.

نستنتج أنَّ هذه المناقشات القيِّمة أثَّرت على فكر مالك بن نبي، حيث جعلتهُ يستفيد من خبرات السَّابقين عليه وأصدقائه لسعة اطلاعهم ومعارفهم.

7/ دور الصحف في تكوينه الفكري:

كانت الصحافة في ذلك الوقت ظاهرة حديثة عند الدول الغربية، أمَّا في مجتمع الجزائري فأخذت النُّخبة المثقفة على عاتقهم أن ينشئوا منابرهم الإعلامية، ومالك بن نبي كان مولعًا بقراءة الصُّحف والمجلات، جميعها ذكرها في كتابه مذكِّرات شاهد للقرن نذكر منها:

- **جريدة النجاح:** تأسَّست سنة 1920 على يد سامي إسماعيل بقسنطينة وكانت تُكتب بأحرفٍ العربية، كان ذلك نوع من التحدِّي للإدارة الفرنسية التي أرست سياستها على فرنسة البلاد[1].
- **جريدة المنتقد:** تأسست في قسنطينة سنة 1922 محاولةً تسليط الرأي العام لها إلاَّ أنَّ إدارة الاستعمار منعت من صدورها ومن ثمَّ توقيفها.
- **جريدة الشؤون العامة لقسنطينة:** هي جريدة ناطقة باللغة الفرنسية تهتم خاصَّةً بما يجري في قسنطينة، وبحكم أنَّ لها مراسلين في باريس كانت تنقل الأخبار العالمية لقراءتها[2] .
- **جريدة الإقدام:** هي صحيفة كان يصدرها الأمير خالد، كانت تفضح ما تقوم به سياسة المستعمر حيث يقول مالك بن نبي "فالإقدام تفضح رجعية إدارة المستعمر وسوء استغلالها للسلطة"[3].
- **صحيفة الجمهوريLa Républicain:** كانت هذه الجريدة لسانُ حال الفرنسيين بالجزائر ومنبرًا ليهاجم من خلاله رئيس بلدية قسنطينة (مورينو Morinaud) الأمير خالد صاحب جريدة الأقدام[4].

---

1 –المصدر نفسه، ص52.

2 –العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص74.

3 –مالك بن نبي، المصدر السابق، ص93.

4 –العابد ميهوب، المرجع السابق، ص 75.

- **جريدة أم القرى:** أسَّسها الشيخ العقبي من الشَّرق حيث يديرها في مكَّة المكرمة، اعتبرها مالك العنصر الوحيد للصحافة[1].
- **مجلة الشهاب:** كانت تصدر عن الشَّيخ عبد الحميد بن باديس من مطبعة الشهاب بقسنطينة
- **صحيفة الرّاية:** كان يصدرها (داندان) وكانت هذه الصحيفة تثير الصِّراع بين الجزائريين والفرنسيين، في ذلك يقول مالك بن نبي "....ففي عناية جاء المقدم داندان ينشئ صحيفة الراية وهكذا غدا الصِّراع مثيرًا في حلبة جزائرية"[2].
- **مجلة الكونفورنسيا:** أثَّرت هذه المجلة في مالك بن نبي من الناحية الأدبية، أعارها له أستاذه بوبريتي، من خلالها تعرف على الشَّاعر الهندي رابندرانت طاغور[3]من خلال أشعاره قائلاً لم "أعد أذكر على وجه الدقة ماهو أول كتاب قرأته لطاغور، إنَّما هذا الشَّاعر حرَّرني من إفريقيتي بعض الشَّيئ وأطلق ذهني من قيودٍ فرضها الاستعمار"[4].
- **صحيفة الإنسانية L'humanité :** هي صحيفة ذات اتجاه شيوعي، كان مالك بن نبي يقرأها من أجل تغذية مدركاته السياسية ومعرفة الآراء التي كانت رائجة في ذلك الوقت.[5]
- **صحيفة الأمة:** بعد أن تمَّ توقيف جريدة الإقدام تولَّى الأمير خالد مع بعض الجزائريين في باريس تأسيس نجم شمال إفريقيا ثمَّ إصدار جريدة الأمة ناطقة باسم النجم.

---

1 –مالك بن نبي، المصدر السابق، ص105.

2– المصدر نفسه، ص184.

3 –ربنادرانت طاغور :1941/1861 هو شاعر هندي ينحدر من أسرة بنغالية درس القانون في إنجلترا ثم عاد إلى وطنه ليشارك في نضال الحركة الوطنية إمتلك طاغور قدرة تحويل الألم إلى سعادة، كان محبا للحياة لكنه فضل الزهد والإنزواء أهم ماقال إن الإصلاح الخلقي يجب أن يسبق الإصلاح السياسي، من مؤلفاته البستاني والهلال ودورة الربيع...للمزيد أنظر: روني ألفا، **أعلام الفلسفة العرب والأجانب**، المرجع السابق، ص63.

4–مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، المصدر السابق، ص91.

5 –العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص75.

- **صحيفة العصر الجديد:** هي صحيفة تونسية تُكتب بالعربية متخصِّصة في شؤون العالم الإسلامي، يقول مالك: "كنتُ أغترفُ منها ذلك الغذاء الرُّوحي الذي يروي تعطشي لمعرفة أنباء العالم الإسلامي"[1].
- **صحيفة الزهرة:** وهي صحيفة تونسية كانت تولي عنايتها بالشُّؤون التونسية .
- **جريدة صوت المساكين La voix des Humbles:** كتب عنها مالك بن قائلا "ومن حينٍ وآخر كنت أقرأ جريدة صوت المساكين وكنت أمجُّ كثيرا هذا العنوان"[2].
- **جريدة الكفاح الاجتماعي:** هي جريدة فرنسية كانت تأتي إلى الجزائر بصورة متقطعة.
- **مجلة المغرب:** كان يصدرها الطلبة المراكشيون في باريس.
- **مجلة صدى الصحراء :** وهي جريدة ناطقة بالعربية يُصدرها الشَّيخ محمد الأمين العمدي في مدينة بسكرة الذي هو العضو المؤسِّس والفاعل في جمعية علماء المسلمين[3].
- **مجلة المعلمين الجزائريين:** هي صحيفة جزائرية كانت تصدر بالجزائر وتصل إلى باريس فيقرأها مالك بن نبي.

المطلب الثاني: التكوين الغربي .

في هذا المطلب عالجت أهم المرتكزات والمؤثِّرات الغربية التي ساهمت في تكوينه الثاني، على التالي:

1/أثر المعلمين الفرنسيين في تكوينه الفكري:

أ/ المعلم الفرنسي مسيو مارتن (Martin) :

وهو مدرس بمدرسة سيدي الجيلي، كان له أثرٌ عميق في فكر مالك بن نبي فبفضله تمكن من اكتساب اللُّغة الفرنسية وتحكَّم بها، حسب شهادة مالك بن نبي أنَّه كان يطبع في

1 – مالك بن نبي، المصدر السابق، ص188.

2 – المصدر نفسه، ص189.

3 –العابد ميهوب، المرجع السابق، ص74.

ذواتهم حب المطالعة والقراءة، حيث يقول: "لقد غرس الأستاذ مارتن في نفسي تذوُّق القراءة، ففي مساء كل سبت كان يعير الكتب لتلاميذه وقد أتاح لي ذلك أن أقرأ كل كتب (جول فيرن Jules Verne /وبعض من روايات الرداءة والسيف)"[1]، فالأستاذ مارتن من خلاله استطاع الاطلاع على كثيرٍ من جماليات الأدب الفرنسي[2].

ب/المعلم الفرنسي بوبريتي(Bobreiter):

هو أستاذ تاريخ العصور القديمة والأدب الفرنسي بالمدرسة المذكورة سابقا، وهذا الأخير كان له دور في إرشاد وتوجيه مالك بن نبي، وكان يعيره المجلاَّت ويشجِّعه على كلِّ عددٍ يقرأه، حيث كان الأستاذ بوبريتي قد فتح آفاقًا جديدة ولم يكن يفضِّل دروسه المقررة على مالك بن نبي كتاريخ الأزمنة القديمة، حتى وإن تركت هذه الأخيرة أثرًا كبيرًا لكن يبقى الفضل بسبب توجيهاته فيما يقرأ من كتب[3].

كان المعلمون الفرنسيون من جهة يسكبون في فكر تلاميذهم محتوى الثقافة الديكارتية[4]، تبدّد ذلك الضَّباب الذي ينمو في الفكر الأسطوري ...تلك البدع المنتشرة في الجزائر آنذاك[5]، من خلال هذا الكلام نجد أنَّ مالك بن نبي قد اكتسب جانبان في فكره هما الجانب السلفي والديكارتي، يعملان على تنقية عقله وتوجيهه الوجهة السليمة، فالأول يدله على الطّريق السليم للإيمان باقتفاء طريق كتاب الله والسنة، والآخر يمنحه المنهج العلمي العقلي.

---

1 –مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، المصدر السابق، ص48.

2 –الطاهر سعود، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، دار الهدى، ط1، 2006، بيروت، ص105.

3 –مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، المصدر السابق، ص65.

4 –نسبة إلى ديكارت1650/1596هو فيلسوف ورياضي فرنسي يعتبر ديكارت أول من شرع بالشك المنهجي كي يتفادى الوقوع في الخطأ وإصدار الأحكام المسبقة، حتى يصل إلى حقيقة ناصعة من أهم مؤلفاته تأملات الميتافزيقية والمقال في المنهج للمزيد أنظر: روني ألفا، **اعلام الفلسفة العرب والأجانب**، المرجع السابق، ص451.

5 –مالك بن نبي، المصدر السابق، ص65.

2/أثر القرءات الغربية في توجيهه:

كان مالك بن نبي المطالع الفذ للتراث الغربي يقرأ كل مايقع بين يديه، من أهم هذه القراءات:

- كتب جيل فيرن (jules verne) وبعض الرويات (الرداءة والسيف)[1].
- كتب (بييرلوتي pierre loti) و(كلود فارير Claude Farrère) و(فاقدات السعادة Le Desenchanté)[2].
- قصة (التلميذ La disciple) لـ(بيار بورجي) في علم النفس[3].
- كتاب (كيف نفكر؟) للفيلسوف البرغماتي جون ديوي .
- كتاب المستشرق الفرنسي ميسينيون عن (الحلاج) في التصوف وكتاب الأب مورو وسلسلته الشهيرة (لتفهم) وكتاب هكذا تكلم زرادشت للفيلسوف الألماني نيتشه[4].

كان لكل كتاب تأثيره الخاص، فبعضها كان أشدَّ تأثيرًا من البعض الأخر، حيث علق على كتاب كونديلا بأنه "رفيقي حتى على الوسادة، هل هذه هي الفلسفة؟ أعني توجيه الفكر من معطيات فكرة إلى أخرى مستنتجة، إنما هذا الكتاب وضع عقلي وأفكاري وفضولي أو بالأحرى ثقافتي باتجاهٍ محدَّ"[5]، فيما قال عن كتب الأب مورو" ولم يكن الأب مورو قد فتح أمامي باب مدرسة معينة بل فتح لي باب عالمٍ جديد يخضع فيه كل شيء إلى القياس الدقيق للكم والكيف"[6].

1 –المصدر نفسه، ص48.

2– المصدر نفسه، ص64.

3 –المصدر نفسه، ص66.

4 –العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص73.

5 - مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، المصدر السابق، ص114.

6 – المصدر نفسه، ص219.

3/ المناقشات باللغة الفرنسية:

أ/ مناقشات مع زوجته خديجة :هي إمرأة فرنسية تزوجها مالك بن نبي سنة1931، دخلت للإسلام وسمت نفسها خديجة، اِسمها الحقيقي هو (سيلستين بول فيليبون)[1]، كانت مثال المرأة المبدعة في فن التجميل والترتيب، كان دائمًا ما يدخل معها في نقاشات سواءً حول القضية الجزائرية أو حول الدين، كان هذا يروق لها وكانت دائمًا ماتبدي رأيها في موازنة بين الإسلام والمسيحية بطريقةٍ كانت تفيده[2]، فبالنسبة لمالك فإنَّ القدر سخَّر له خديجة بواسطته تعرَّفت على الإسلام وسخَّرها له الله ليتعرَّف بواسطتها على الوجه الأصيل للحضارة الغربية.

ب/ مناقشات داخل منظمة الوحدة المسيحية للشبان البارسيين: انتسب مالك بن نبي إلى هذه المنظمة، وبهذا يكون هو الشَّاب المسلم الوحيد فيها، كانت هذه الوحدة تدار شؤونها طبقًا لضروريات شباب يدرس أو يعمل بعيدًا عن بيوت أهله[3]، كان محور هذه المناقشات هي المقارنة بين الأديان خاصة الدين المسيحي والإسلامي، وبطبيعة الحال مثل هذه المحاورات يصل صداها إلى مدير المنظَّمة ممَّا جعله يدخل معه في مناظرة من أجل دحض نظرياته الإسلامية ويكشف مكامن ضعفها، وكانت النتيجة في آخر المطاف غير ما كان ينتظره لأنَّ منطق المسيحي بما يتخلله من تعقيد قد ولَّى أمام منطق الإسلام السليم[4] من خلال هذا النقاش نرى بأنَّ عقيدة التثليث لم تصمد في وجه العقيدة الموحدة الإسلامية، وبهذا يكون مالك بن نبي قد استفاد من ولوجه لهذه المنظمة فقد أتاحت له الفرصة للتعرف على مكامن ضعف الديانة المسيحية.

---

1 – العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص80.

2 – مالك بن نبي، المصدر السابق، ص274.

3 – المصدر نفسه، ص210.

4 –مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، ص223.

ج/ مناقشة مع الأسرة اليهودية: عقد مالك بن نبي بباريس صداقة مع شاب يهودي، وكان هذا الشَّاب يدعوه إلى بيته ويقرُّ مالك بأنَّه أتاحت له هذه الزيارات تكوين فكرة أقرب للواقع عن مشكلة اليهود في العالم[1].

ويتَّضح لنا ممَّا سبق أنَّ مالك بن نبي قد خلق التوازن في تكوينه العربي الإسلامي من خلال حفاظه على موروثه الثقافي الإسلامي، كما أنَّه لم يكن مغمض العينين عن إحداثيات الثقافة الغربية بل كان متفتحًا لها وبالتالي قد وفَّق بين الأصالة والمعاصرة .

1 العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص 83.

المبحث الثاني: الجانب الشَّخصي لمالك بن نبي.

المطلب الأول: حياته ووفاته.

أ/ مولده:

هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي ولد سنة (1323هـ) الموافق لـ(يناير 1905م) بمدينة قسنطينة إحدى المدن الكبرى شرقي الجزائر، وُجد في عائلة تعاني ضيقًا ماديًا شديدًا وربما لهذا السبب كفله عمه، ثم اضطرت زوجة عمه أن تعيده إلى والديه في تبسة بعد وفاة زوجها[1].

كان مولده في فترة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، اعتبر مالك بن نبي نفسه شاهدًا على القرن لتلك الفترة حيث يقول: "كان مولدي في الجزائر عام 1905، أي في زمنٍ كان يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريقِ آخر من تبقى حيًا من شهوده، والإطلال على المستقبل عبر الأوائل من رواده"[2]، اعتبر نفسه محظوظا لذلك سمى مذكراته بمذكرات شاهد للقرن.

ب/ نشأته وتعليمه:

نشأ مالك بن نبي في كنف أسرة تتكون من أبيه وأمه وجدته وأخته، لم يذكر في مذكراته عدد أفرادها ولا أسمائهم ماعدا جدته زوليخة[3]، عائلته عاشت الفقر وأوضاعها المادية مزرية فأبوه كان عاطلاً عن العمل، وجده لأبيه باع كل ماتبقى بحوزته من أملاك العائلة وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس، معبّرًا عن رفضه لمساكنة المستعمر .

أما جدته لأمه وأقاصيصها الورعة التي كانت نموذج الأسر العربية الإسلامية التي لايزال فيها النبل والصبر والتضحية[4].

---

1 –عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي حياته و فكره،** المرجع السابق، ص51.

2 –مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن،** المصدر السابق، ص15.

3 –عبد الله بن حمد العويسي، المرجع السابق، ص52.

4 – محمد العبده، **مالك بن نبي مفكرا إجتماعيا و رائد إصلاحي** ، دار القلم، ط1، 2006، دمشق ، ص23.

وفي خضم هذه الظروف أدخله والده، لأول مرة إلى الكتاب ليتعلم القرآن الكريم كما التحق في الفترة نفسها بالمدرسة الفرنسية، وكان يجد صعوبة التوفيق بينها، فوجد فارقًا كبيرًا بين المدرستين من حيث المعاملة وطرق التدريس، كان لايطيق هذا الوضع فبدأ بالتغيب عن المدرسة القرآنية ممَّا دفع بأبيه ومعلمه لعقابه، واستمر تأزُّم هذا الوضع على مالك بن نبي إلى أن اقتنع والده فانقطع عن المدرسة القرآنية وأكمل في المدرسة الفرنسية[1]، بعد ذلك انتقل إلى قسنطينة ليكمل تعليمه رغم حصوله على درجة جيدة لم يسمح له بالدخول إلى المدرسة الثانوية، فاضطر إلى الدخول للتكميلية بهدف إعداده للثانوي فتقدم للإمتحان سنة 1920وتحقق حلمه بنجاحه.

كان طلب والديه هو أن يكون كاتب عدل في الشَّرع الإسلامي وفيها تعلَّم قواعد اللغة من نحوٍ وصرف على يد (الشيخ عبد المجيد) وتعلمه لسيرة الرسولﷺ على يد (الشيخ مولود بن موهوب)، وتأثره بالمدرسيه الفرنسيين، فالسيد (مارتن Martin) الذي طعمه بالمفاهيم اللغوية وغرس فيه ملكة التعبير وحبب إليه المطالعة، و(بوبريتيBobreiter) الذي علمه التاريخ والأدب الفرنسي[2]، وبهذا كانت المدرسة محور إثراءه فكان ينهل من الثقافة العربية الإسلامية من طرف المعلمين العرب المسلمين تارة، وتارةً أخرى يتلقى التنشئة الغربية من معلمين متشبعين بالثقافة الفرنسية، تعدُّ هذه المرحلة من أبرز مسيراته الفكرية التي حدَّدت اتجاهاته، حيث بدأت مدركاته تتسع وملاحظاته تزداد، خاصة عندما اختار لنفسه من القراءات المتنوعة وغرف مناهل الأدب العربي ، فكان الصَّالون الأدبي بقسنطينة يزوده بفرص الاطلاع على شعراء الجاهلية وشعراء العصر الأموي والعباسي[3]

بعد تخرجه قرَّر الانتقال إلى فرنسا سنة لإكمال دراسته الجامعية 1930، فور وصوله إلى باريس سجّل نفسه في امتحانات القبول بمعهد الدراسات الشرقية ليدرس في كلية الحقوق

1- مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، المصدر السابق، ص24.

2 -العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص47.

3- المرجع نفسه، ص48.

لكن شاءت الأقدار أنَّه لم ينجح في معدَّلات القبول، هذا ما شكَّل له خيبة أملٍ بطبيعه الحال "اختياره لم يكن لمقاييس علمية وإنما لمقاييس سياسية بالنسبة لمسلمٍ جزائري"[1].

في تلك الفترة نصحه صديقٌ له بالانتساب إلى مدرسة اللاسلكي، فالتحق بها ودرس الكهرباء والميكانيك، ليحصل على درجة مساعد مهندس، وبها شكَّل منعطف جديد في حياته حيث يقول: "لقد غيَّرتْ جذريًا اتجاهي الفكري، إذ أنَّها أسكنت في نفسي شيطان العلوم"[2]. كما انتسب مالك بن نبي في تلك الفترة إلى معهد وحدة الشبان المسحيين الباريسيين أدخلته إلى واقع الحضارة الغربية، وتخرج مالك بن نبي مهندسًا كهربائيًا، وفي زمن هذه الأحداث تعرَّف مالك بن نبي على فتاة فرنسية تزوج بها واعتنقت الإسلام وسمّت نفسها خديجة، أخذت زمام حياته المادية في البيت ليتفرغ هو لحياته الفكرية، وفي عام 1932 اصطحب مالك بن نبي زوجته كي تزور الجزائر لأول مرة وفي هذه الفترة ازداد إعجاب مالك بن نبي بموجة الإصلاح التي عمت ربوع الوطن وتأكد أن جهود جمعية علماء المسلمين قد أتت ثمارها [3].

ج/ وفاتــه:

في عام 1973 أصيب مالك بن نبي بمرض السرطان في الدماغ، وقد كان ذلك سرى إليه من البروستات عبر العمود الفقري وقد اشتد عليه المرض بعد عودته من الأغواط حيث كان يلقي بعض محاضراته هناك، فسافر للعلاج في فرنسا وأجريت له عملية جراحية تحسن نوعًا ما، إلى أن عاوده المرض فنصحهم الطبيب المعالج بأن يعود إلى بلاده وعاد مالك بن نبي إلى الجزائر ليتوفاه الأجل كان ذلك يوم الأربعاء 4 شوال سنة 1393هـ الموافق لـ31أكتوبر[4] 1973، تاركًا وراءه إرثًا فكريًا وصرحًا ثقافيًا كبيرًا.

---

1 –مالك بن نبي، المصدر السابق، ص216.

2 – مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، المصدر السابق ، ص219.

3 –العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص58.

4 – عبد الله حمد العويسي، **مالك بن نبي حياته وفكره**، المرجع السابق، ص139.

المطلب الثاني: إسهاماته و مؤلفاته.

أ/ إسهاماته:

بعدما أكمل مالك بن نبي الدِّراسة في الثانوية كان لابدَّ له من إيجاد عملٍ، وكما سبق وأن اعترف بأنَّه إبن الأسرة المسحوقة من الفقر، لذا أصبح هاجسه الذي يؤرقه هو المستقبل وحصوله على عملٍ يشدُّ به أزره[1]، وهكذا عمل في المحكمة بمنطقة أفلو كمعاونٍ قضائي بعدها انتقل إلى محكمة شلغوم العيد (شاتودان) إلاَّ أنَّه استقال بسبب عدم توافقه مع أعضاء المحكمة ليقرّر بعدها السّفر إلى فرنسا.

وفي فرنسا انخرط في الأحزاب السياسية، ثمَّ أصبح رئيسًا لنادي المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة، ولكنَّ الفرنسيين أغلقوه بحجة أنَّ مالك بن نبي لا يملك شهادة التدريس، ثمَّ عاد مالك بن نبي إلى الجزائر إلاَّ أنَّه لم يجد أيّة مهنة بالإضافة إلى أوضاع البلاد المزرية فقرَّر العودة إلى فرنسا وودَّع الجزائر بهذه العبارة "يا أرض العقوق تُطمعين الأجنبي وتتركيين أبنائك للجوع إنَّني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرة"[2].

انتقل بعدها إلى مصر وفي القاهرة اتصل بالرئيس جمال عبد الناصر وخصَّصت له الحكومة مرتبًا شهريًا ممَّا ساعده على العمل الفكري، وفي خضمِّ هذه الأحداث عيَّنه أنور السَّادات الرئيس المصري السّابق مستشارًا عامًا للمؤتمر الإسلامي. عمل مالك بن نبي على ترجمة كتبه إلى اللُّغة العربية، وقد أبلى الدكتور عبد الصَّبور شاهين والأستاذ عمر كمال المسقاوي بلاءً حسنا في هذا المجال وفي مصر أتقن اللغة العربية وبدأ يكتب بها[3].

عاد مالك بن نبي إلى الجزائر بعد أن نالت الحرية لكن بعد عام من الاستقلال أي سنة 1963م وبهذا يكون قد نفّذ وصيته المذكورة، اشتغل في الجزائر عدَّة مناصب منها، مستشارًا

1 –بن إبراهيم الطيب، **مالك بن نبي وإبن خلدون**، دار المدني، دط، 2002، دب، ص38.

2– مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، المصدر السابق، ص428.

3 –محمد العبده، **مالك بن نبي مفكرا إجتماعيا ورائد إصلاحي**، المرجع السابق، ص42.

عامًا للتعليم العالي ثمَّ مديرًا عامًا لجامعة الجزائر ووزيرًا للتعليم العالي إلاَّ أنَّه استقال ليتفرَّغ لعمله الفكري.

ب/ مؤلفاته:

❖ **الكتب:**

ترك مالك بن نبي إرثًا فكريًا حافلاً بالكتب المتنوعة، أثرى بها المكتبات العربية والعالمية، عالجت معضمها مشكلات الأمة وكيفية النُّهوض بها، أصدر مالك بن نبي معظم كتبه باللغة الفرنسية ثم ترجمت إلى اللغة العربية والبعض الآخر كُتب باللغة العربية ومن هذه المؤلفات:

1- **الظاهرة القرآنية:** هو أول كتاب ألَّفه مالك بن نبي بالفرنسية لترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين، وهو كتاب متوسط الحجم عدد صفحاته 328 صفحة يتناول هذا الكتاب المسألة الدينية والإعجاز القرآني والخصائص الظاهرية للوحي[1] .

2- **شروط النهضة:** صدر باللغة الفرنسية سنة 1948 قبل أن يتولَّى ترجمته عمر الكامل المسقاوي وعبد الصّبور شاهين إلى اللغة العربية، وهو كتابٌ متوسِّط الحجم عدد صفحاته 159، يعالج أثر الفكرة الدينية في الدورة الحضارية وبناء الحضارة وتطوير الواقع الاجتماعي[2].

3- **ميلاد مجتمع:** صدر هذا الكتاب سنة 1962 باللغة الفرنسية ثم ترجمه عبد الصبور شاهين، عدد صفحاته 128 صفحة يقول مالك بن نبي "إننا نريد أن نعطي للقارئ العربي المسلم فرصةً للتأمل في هذه المرحلة من تاريخ المجتمع، حين يولد، أو حين ينهض"[3].

1- مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، المصدر السابق، ص12.

2- مالك بن نبي، **شروط النهظة**، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دط، 1986، سوريا، ص14/13.

3 -مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 2006، سوريا، ص7.

4-**وجهة العالم الإسلامي:** صدر الكتاب باللغة الفرنسية سنة 1954 يضم 272 صفحة ترجمه عبدالصبور شاهين، يصور هذا الكتاب مأساة العالم الإسلامي ولا يخص البلد الواحد بل يبحث في المشكلة المشتركة ويقدم مقارنة بين العالم الإسلامي والأوروبي[1].

5-**الفكرة الافريقية الآسيوية:** صدر هذا الكتاب سنة 1950 باللغة الفرنسية عدد صفحاته 272 صفحة ترجمه عبد الصبور شاهين باللغة العربية جاء محتواه إثر انعقاد مؤتمر باندونغ سنة 1955، هو دعوة إلى شعوب افريقيا وآسيا وتأكيد مالك بن نبي على فكرة عدم الإنحياز.[2]

6-**مشكلة الثقافة:** ترجم على يد عبد الصبور شاهين عدد صفحاته 152 صفحة حيث يتحدث فيه عن مفهوم الثقافة التي لم تألفها المصطلحات المستوردة التي تمت صياغتها في إطار الفكر الغربي بهذا يكون قد تناول أفكار جديدة حول الثقافة[3] .

7-**فكرة الكومنويلث الإسلامي:** صدر هذا الكتاب سنة 1960 وهو كتاب صغير عدد صفحاته 96 ويكمن مسرد الكتاب حول أنَّ العالم الإسلامي غاب عن خريطة العالم، في حين يتركز العالم على قوتين: القوة الشرقية بزعامة موسكو والقوة الغربية بزعامة واشنطن، وفكرة الكومنويلث الإسلامي ترسم مشروع يمنح العالم الإسلامي موقعًا له في خريطة العالم[4] .

8-**تأملات:** هذا الكتاب صدر عام تحت عنوان "حديث في البناء الجديد" وقسمه الآخر تحت عنوان "تأملات في المجتمع العربي"[5] وهو كتابٌ متوسطُ الحجم عدد صفحاته240 صفحة.

---

1 -مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دط، 2002، دمشق، ص10.

2 -مالك بن نبي، **فكرة الإفريقية آسيوية**، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 2001، سوريا، ص18.

3- مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 2001، سوريا، ص13.

4 -مالك بن نبي، **فكرة الكمنوليث الإسلامي**، تر الطيب الشريف، دار الفكر، ط1، 2000، سوريا، ص8.

5 -مالك بن نبي، **تأملات**، دار الفكر المعاصر، ط1، 2002، بيروت، ص7.

9-**في مهبِّ المعركة** : هو عبارة عن مجموعة مقالات كتبها مالك بن نبي ونشرها في صحيفتين جزائريتين ناطقتين باللغة الفرنسية هما: الشباب المسلم والجمهورية الجزائرية، وترجمت هذه المقالات باللغة العربية بالقاهرة، سمَّى مجموعته هذه في مهب المعركة[1].

10-**المسلم في عالم الاقتصاد:** نُشرت بدار الفكر عام 1978، وهو كتابٌ متوسط الحجم وعدد صفحاته112 صفحة أكَّد مالكٌ فيه على الجانب الاقتصادي لمجتمعات العالم الإسلامي[2].

11-بين الرشاد والتيه: يضم مقالات كتبها مالك بن نبي بالفرنسية ونشر معضمها في جريدة الثورة الإفريقية، جمعها عام 1972 وترجمها إلى العربية، تطرح هذه المقالات مشاكل العالم الثالث بعد الاستقلال السياسي فتُسلَّط الضوء عليها وتُبرز أبعادها وتُنير طريق الكفاح من أجل القضاء على هذه المشاكل[3].

12-القضايا الكبرى: صدرت تحت عنوانLes grand thèmes باللغة الفرنسية، اشتملت على خمسة فصول وترجمت تحت عنوان "الآفاق الجزائرية" ترجمها الأستاذ الطيب الشريف وأصدرتها مكتبة النهضة الجزائرية وفصلان أخيران، صدر الرابع منهما تحت عنوان "الديمقراطية في الإسلام" أصدرتها دار الفكر بدمشق[4].

13-مذكرات شاهد للقرن: يتكون من جزأين؛ الأول بعنوان "الطفل" وقد ترجمه مروان القنواتي والجزء الثاني بعنوان "الطالب" ترجمه مالك بن نبي بنفسه ونشره في دار الفكر[5].

---

1 -مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، دار الفكر المعاصر، ط1، 2002، بيروت، ص7.

2 -مالك بن نبي، **المسلم في عالم الإقتصاد**، دار الفكر، ط3، 2000، دمشق، ص8.

3 -مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، دار الفكر، ط1، 2002، دمشق، ص7.

4- مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، المصدر السابق، ص7.

5 -العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص93.

14-دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين: صدر عام 1972، هو عبارة عن محاضرات تركها مالك بن نبي وصيةً في ضمير الأجيال، تتلمس الخروج من أزمتها الراهنة، وهو كتيّبٌ صغيرُ الحجم يحتوي على 64 صفحة[1].

15-مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: صدر عن دار الفكر سنة1972 يحتوي على 184 صفحة، يعالجُ مالك فيه الصِّراع الفكري مستنتجًا فيه أنَّ المشكلة ليست مشكلة وسائل بل هي مشكلة أفكار في العالم الإسلامي[2].

16-إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي: هو كتابٌ يحتوي على 50صفحة صدر عام 1969 شرح فيه مصطلح المستشرقين وصنّفهم إلى عدَّة طبقات[3].

17-العفن: يعدُّ هذا الكتاب مذكِّرات صريحة لمالك بن نبي رغم تنبيهه بأنّه من المبكر تناول بعض محطات من حياته والخوض في تفاصيلها، وقد باشر تحريرها وكانت من أصعب الأوقات في حياته الخاصة[4].

❖ **المخطوطات:**

يوجد عند مالك بن نبي مجموعة من مؤلفات مخطوطة بخط يده ومنها:

- خطاب مفتوح لخرتشوف وإيزنهاور.
- دولة المجتمه الإسلامي.
- مذكرات شاهد للقرن (القسم الثالث الأستاذ).
- مجالس التفكير .
- مجالس دمشق.

1- مالك بن نبي، **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين**، دار الفكر، ط1، 1991، سوريا، ص9.

2-مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، تر بسام بركة/أحمد شعبو، دار الفكر، ط1، دت، سوريا، ص12.

3-مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، دار الإرشاد، ط1، 1969، بيروت، ص5.

4 -مالك بن نبي، **العفن**، تر: نور الدين خندودي، شركة دار الأمة، ط1، 2007، الجزائر، ص9.

- كتاب حول المشكلة اليهودية1.
- اليهودية أم النَّصرانية.
- نموذج للمنهج الثَّوري.

1 –محمد العبد، **مالك بن نبي مفكرا إجتماعيا ورائد إصلاحي**، المرجع السابق، ص45.

خـلاصــة:

في ختام هذا الفصل نستخلص أنَّ مالك بن نبي كان وليد ظروف اجتماعية صنعت منه إنسانًا سابقًا لزمانه باحثًا عن حلول للنُّهوض بالأمة الإسلامية، حيث أدَّت العديد من العوامل إلى تشكيل نسقه الفكري من خلال ذكرنا لدور أسرته التي أخذت القسط الأكبر في تكوينه منذ الصغر، وزرعت فيه القيم الحسنة، بالإضافة إلى مساهمة المدرسة بالمعلمين المثقفين بالثقافة الإسلامية والمعلمين المثقفين بالثقافة الفرنسية، هذا لم يشكل له عائقًا بل أخذ ينهل من الثقافتين وجمع فيهما بين الأصالة والمعاصرة، كما كان دور القرءات سواءً كانت الكتابات العربية أوالغربية واطلاعه الواسع للصُّحف والمجالاَّت تنوع لفكره دون أن ننسى دور المناقشات التي أكسبته ثقافة الحوار.

وكما أضافت هجرته لفرنسا الكثير في حياته فبواسطتها تعرَّف على الوجه الحقيقي للحضارة الغربية، ورحلته لمصر أصبح فيها الدَّاعم الأكبر للثَّورة الجزائرية بقلمه، ليرجع إلى وطنه بعد أن نالت الاستقلال ليتفرَّغ إلى عمله الفكري إلى أن بلغه الأجل.

وفي النقطة الأخيرة تكلمنا عن إسهاماته وأهم ومؤلفاته التي تركها، والتي كانت إرثًا فكريًا زاخرًا بالكتب المتنوعة، أتحف بها المكاتب العربية والغربية.

الفصل الثاني

مسألة الحضارة والأخلاق عند مالك بن نبي

❖ **تمهيد**

- **المبحث الأول: معالم الحضارة عند مالك بن نبي.**
  - ✓ **المطلب الأول:** الحضارة عند مالك بن نبي.
  - ✓ **المطلب الثاني:** معيقات بناء حضارة عند مالك بن نبي.
- **المبحث الثاني: تصور مالك بن نبي لمفهوم الأخلاق.**
  - ✓ **المطلب الأول:** تطور مفهوم الأخلاق عبر العصور.
  - ✓ **المطلب الثاني:** تعريف الأخلاق عند مالك بن نبي.
  - ✓ **خلاصة**

الفصل الثاني :

مسألة الحضارة والأخلاق عند مالك بن نبي

تمهيـد:

إنَّ الأمة الإسلامية وماتعانيه من تقهقرٍ في أوضاع السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية مما يولد عوائق تقف حيال تطور حضارته، فلابد له من أن يتلمس الحلول من أجل دفع حضارته نحو الأمام.

ومن هذا المنطلق حاول مالك بن نبي الخوض في القضايا الراهنة للوطن الإسلامي، ومن أهم هذه القضايا نجد فكرة الحضارة التي أخذت النصيب الأكبر من فكره، وهذه الأخيرة قد خاض في غمارها العديد من المفكرين والعلماء بمختلف وجهات النظر والأراء، والجدير بالذكر أن مالك بن نبي وقف حول الأسباب الحقيقية لحركة الحضارة عبر التاريخ، وفي مشروعه الفكري قدَّم رؤيته الحضارية ومفاهيمه وطرق تحليله لمشكلات الحضارة، حيث قدم لنا حلولاً من أجل استعادة الحضارة الإسلامية دورها في التاريخ، ولأن كل حضارة تستند في تأسيسها الأول إلى الأخلاق فقد توصَّل مالك بن نبي إلى اعتبار الأخلاق من المفاهيم الأساسية التي وظفها في دراسة الحضارة في قيامها وسقوطها، ويطلق مالك بن نبي عليها بالفكرة الدينية التي هي مركب الحقيقي للحضارة تدخل في توجيه الإنسان .

وفي هذا الفصل سوف نعرج إلى تقديم مفهوم الحضارة وشروطها ومراحلها ومعيقاتها وإلى مفهوم الأخلاق عند المفكرين والعلماء وعند فيلسوفنا مالك بن نبي.

المبحث الأول: معالم الحضارة عند مالك بن نبي.

المطلب الأول: الحضارة عند مالك بن نبي.

1/ تعريف الحضارة لغة وإصطلاحا

- **تعريف الحضارة من الناحية اللغوية:**

تعرف كلمة الحضارة في معجم متن اللغة كما يلي: الحضارة ضد البداوة، والإقامة في الحضر[1] .

كما ورد في معجم الأعلام: الحضارة، أي أقام بالحضر وتشبه بأخلاق الحضر[2].

كما جاء في المعجم الفلسفي جميل صليبا أن الحضارة هي: الإقامة في الحضر بخلاف البداوة، وهي الإقامة في البوادي[3].

وكما جاء في قاموس اللغة الفرنسية Le petit Larousse فالحضارة مجموعة الخصائص الخاصة بالحياة الفكرية والفنية والأخلاقية والاجتماعية والمادية لبلد أو مجتمع ما[4].

والجدير ذكره أن الحضارة في اشتقاقها اللغوي تركز على الجانب السسيولوجي أي تدل على إنتقال الناس من فترة البداوة إلى التحضر والتقدم الإنساني، كما أن أول من أطلق لفظة على معنى قريب من معناه الحاضر هو إبن خلدون حينما فرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري، فالبدواة أصل الحضارة والبدو أقدم من الحضر، إذا كانت البدواة أصل الحضارة فإن الحضارة غاية البدواة ونهاية العمران[5].

---

1 أحمد رضا، **معجم متن اللغة الموسوعة اللغوية الحديثة**، دار مكتبة الحياة، ج2، 1958، بيروت، ص111.

2 لويس معلوف، **المنجد في اللغة والإعلام**، دار دمشق، ط1، 1978، بيروت، ص139.

3 جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب البناني، ج1، 1982، لبنان، ص475.

4 Le ptite Larousse illustrée.2007.p 253.

5 المرجع نفسه، ص476/475.

- **تعريف الحضارة من الناحية الإصلاحية:**

يعرفها أرنولد توينبي [1](Arnold Toynbe) على أنها: «مجموعة الأفكار والرؤى والقيم السائدة التي تواجه الإنسان، كما أن الحضارة هي أصغر وحدة في الدراسة التاريخية يصل المرء إليها عندما يحاول أن يفهم تاريخ وطنه»[2]، بمعنى أن توينبي يرى أن الحضارة هي السمة الأساسية التي تلقي بضلالها على الإنسان بمختلف القيم الثقافية التي تواجهه، كما أن الحضارة بأسرها جعلها الوحدة الرئسية لدراسة التاريخية.

كما عرفها ألبرت شفيتزر[3](Albert Schweitzer) قائلاً: «إنَّ الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على حدٍ سواء وإيجاد الظروف المواتية للجميع من أجل كمال الأفراد روحيا وأخلاقيا»[4]، ويضيف «كما أن جوهر الحضارة يكمن في سيادة العقل على نوازع الإنسان، بمعنى إحراز التقدم الاخلاقي»، فيعني بهذا الحديث أن الأخلاق هي جوهر الحضارة، لأنه رأى أن الحضارة الغربية الراهنة في طريقها للإنتحار نتيجة التقدم في النواحي الصناعية والمادية وافتقارها للقيم الأخلاقية الأصيلة، بهذا تجعل الإنسان عبدا يفتقد أبسط الصفات الإنسانية، فالحضارة حسبه تتطلب أناسًا أحراًار لأن بهم تتحقق الحضارة وتُصنع.

2/ تعريف الحضارة عند مالك بن نبي:

1 **أرنولد توينبي(1889/1975)**: مؤرخ وفيلسوف إنجليزي، أكد في مؤلفه دراسة التاريخ إرادته في بناء فلسفته في التاريخ إنطلاقا من دراسته لإحدى وعشرين حضارة، قال بدورية الحضارات معارضا بذلك الفلسفات التقليدية من مؤلفاته، الفكر التاريخي اليوناني والعالم والغرب...للمزيد أنظر: جورج الطرابشي، **معجم الفلاسفة**، طار الطليعة، ط3، 2006، بيروت لبنان، ص246.

2 أرنولد توينبي، **الحضارة في الميزان**، تر أمين محمود الشريف، دار إحياء، دط، 1948، القاهرة، ص197.

3 ألبرت شفيتزر (1875/1965): هو لودفيج فليب ألبرت شفيتزر لاهوتي وكاتب وفيلسوف وطبيب وموسيقي وحائز على جائزة نوبل للسلام، أكثر ما يشتهر به هو أعماله إنسانية وكتاباته في الحضارة وفلسفتها وتأليفه لنصوص التأويلية ودراسات عن حياة يسوع تاريخيا له العديد من مؤلفات منها الحضارة وأخلاق والسلام أوالحرب الذرية ...للمزيد أنظ: 28/05/2021، 09:14 الحضارة الحديثة وإنسانيتهاعند ألبرت شفيتزر http:www.mominoun.com.

4 ألبرت شفيتزر، **فلسفة الحضارة**، تر عبد الرحمان البدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، د ط، د س، القاهرة، ص35.

نجد أن مالك بن نبي أخذ مفهوم الحضارة بتعاريف مغايرة في كتبه المختلفة بحسب تموقعاتها المعرفية وطبيعة الموضوع الذي يبحث فيه.

فيعرف الحضارة من الناحية الوظيفية على أنها: «مجموع الشروط الأخلاقية المادية التي تتيح لمجتمع معين أن تقدم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه، فالمدرسة والمعمل والمستشفى ونظام شبكة المواصلات، والأمن في جميع صوره، واحترام شخصية الفرد تمثل جميعها أشكالاً مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر مجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه»[1].

تعريف الحضارة من الناحية البيولوجية: فيعرفها مالك بن نبي على أنها «مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي البيولوجي حيث ينشأ ويقوي هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها؛ فعندما نشتري منتجاتها فإنها تمنحنا هيكلها وجسدها لا ورحها»[2] .

تعريف الحضارة من الناحية التحليلية: فإننا نجده يعرف الحضارة من خلال تحليل بنيتها كأنها معادلة رياضية:

*الحضارة = الإنسان + التراب + الوقت.

وكل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية التالية:

*ناتج الحضاري = الإنسان + التراب + الوقت.

هذه الصيغة صادقة بالنسة إلى أي ناتج حضاري، وإذا ما درسنا هذه الفتوحات حسب طريقة الجمع المستخدمة في الحساب، فستنتهي حتما إلى ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية.

*الحضارة = إنسان + تراب + وقت[3].

---

1 مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، المصدر السابق، ص43.

2 مالك بن نبي، **شروط النهظة**، المصدر السابق، ص48.

3 رشيد أوزار، **مالك بن نبي عودة إلى الذات الفعالية والسنية**، مركز الراية للتنمية الفكرية، ط1، 2006، د ب، ص31.

وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بتكديس المنتجات وإنما بأن نحل المشكلات الثلاثة من أساسها[1]، فمالك بن نبي يؤكد أن من الضروري معالجة العناصر ضمن حالة منظمة لكي نضمن تركيب متآلف ولاتمارس مفعولها إذا كانت في حالة متشتتة ومكدسة وحسبه يرى بأن هذه العناصر الثلاث لاتقوم بوظيفتها الحضارية إلا إذا توفر ما يطلق عليه مالك بـ(مركب الحضارة)، أي العامل الذي يؤثر في مزج وتركيب العناصر الثلاث مع بعضها. حيث أن هذا المركب موجود فعلا هو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ[2] .

3/ شروط الحضارة:

ومن نافذة القول إن الحضارة تقوم على أساس وجود الإنسان، كونه الفاعل والمحرك وصاحب الجهد المنجز، كما يضاف إليه وجود عنصر التراب كونه مصدر الإنجاز المادي وعنصر الزمن الذي هو شرط أساسي لأي عملية إنجازية يقوم بها الإنسان.

3_1/الإنسان :

إن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة[3] فبما أن الإنسان هو الشرط الأساسي لكل حضارة، فلإنسان إذًا هو محور ومركز الفاعلية في حركة الحضارة، حيث يقول الله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4]، ومسألة الإستخلاف هذه تجعل الإنسان يقف كخليفة مفوض من الله تعالى وهو خالقه لإعمار العالم.

1 بدران بن مسعود بن الحسن، **الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري**، أنموذج مالك بن نبي، كتاب الأمة، قطر، العدد 43، 2000، ص53.

2 زكي ميلاد، **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة**، دار الفكر، ط1، 1998، سوريا، ص72.

3 سليمان خطيب، **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1993، لبنان، ص81.

4 سورة البقرة الأية/30

ويؤكد مالك بن نبي أنه علينا أولا أن ندرس الجهاز الاجتماعي الأول وهو الإنسان لأنه لايمكن أن يتحرك المجتمع والتاريخ إلا بتحرك الإنسان وإذا توقف سيتوقف التاريخ والمجتع إذ يقول، ذلك ماتشير إليه نظرة تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ، فنرى المجتمع حينما يزخر بوجود النشاط وتزدهر فيه الحضارة وأحيانا نراه ساكنا لايتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات[1]. كما أن تغيير التاريخ والحضارة مرتبط بتغيير ما في الأنفس حيث يقول الله تعالى﴿إِنَ اللهَ لَايُغَيَّرْ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيَّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2]، فالتغيير هو شرط جوهري لكل تحول اجتماعي واعي فلابد من إزالة الأمراض والفساد في المفاهيم والتصورات الناجمة عن جهل للأمور وإعادة بريق الصفاء الوضوح للنفس .

فلقد منح الله الإنسان القدرة على أن يغير ما بنفسه وينتقل من حالة إلى حالة أخرى،[3] ومنه فلإنسان يؤثر في سير مجتمعه بثلاث أشياء؛ أولا بفكره وثانيا بعمله وثالثا بماله، فكان من الضروري توجيهه إلى ثلاث وجهات وهي:

أ/التوجيه الثقافي: وهذا التوجيه يقصد به تهذيب سلوك الفرد وأسلوب حياته في المجتمع وبيئته الاجتماعية كما أن هذا التوجيه يتطلب مجهود يجب أولا تصفيه العادات والتقاليد، حتى يشكل الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة وأنَّ هذه التصفية لا تأتي إلاَّ بفكر جديد يحطم ذلك الموروث ويبحث عن واقع جديد هو واقع النهضة[4]، ومن المهم أن يجعل مع الأخلاق عنصرًا آخرًا هو الذوق الجمالي أي الجمال الذي تكون فيه الحضارة، فينبغي أولا أن نراه في أنفسنا.

1 سليمان خطيب، المرجع السابق، ص82.

2 سورة الرعد الأية/ 11.

3 سعيد جودت، **حتى يغيرو مابأنفسهم**، تقديم مالك بن نبي، دار الفكر العربي، ط3، 1977، دمشق، ص57.

4 الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ في حركة التاريخية وتفسير تطور الحضاري عند مالك بن نبي**، دار الخليل، دط، 2013، الجزائر، ص247.

ب/ التوجيه العملي: ويقصد به التحلي عن الأفكار التي تقوم على مبدأ العمل من أجل الحصول على لقمة العيش وحسب، بل من أجل استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة.

كما يعنى سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، لكي يوضع في كل يوم لبنة جديدة في البناء فإزالة أذى عن الطريق عمل، واسداء النصح عن النظافة أو الجمال عمل وغرس شجرة عمل، إذًا فتوجيه العمل هو تأليف كل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان[1]

ج/ توجيه رأس المال: وفي هذا التوجيه يفصل مالك بن نبي بين الثروة ورأس المال فالثروة هي ملكٌ للفرد يستعملها في الإطار الذي تقتضيه حرفته المحلية ول ايفيد بها الدورة الاقتصادية، فهي شيئٌ محلي مستقر في مسكنه فالثروة تلقب بصاحبها، أما رأس المال فإنه ينفصل اسمًا عن صاحبه وينفع به الاقتصاد فرأس المال ينمو ويتحرك فلا يقال رأس مال فلان وإنما رأسمال فقط[2] . إذًا حسبه فالثروة مادام هي ملكٌ للفرد وحده فهي لاتفيد لامجتمع ولا دولة أو بالأحرى الدورة الاقتصادية للدولة مادام أنها مخزنة ومكدسة في بيته أما رأس المال فهو ضروري للدولة فبه تنشط الدورة الاقتصادية.

3_2/ التراب:

فإذا كانت مشكلة الحضارة الأولى هي الإنسان فإنَّ المشكلة الثانية هي أرضه ومالك بن نبي لم يشأ أن يصطلح على هذا العنصر بمصطلح المادة لأنها تقبل عدة معاني، كما أنها قد توقعه في دائرة الغموض ولبس، لذلك فضَّل القول بالتراب على المادة .

فمالك بن نبي لم يبحث في خصائصه وإنما في قيمته الاجتماعية كونه عامل مهم من عوامل النهوض الحضاري، فالإنسان هو الذي يرى في التراب مصدر ثروة ووسيلة للنهوض،

1 –مالك بن نبي، **شروط النهضة**، المصدر السابق، ص115.

2 –المصدر نفسه، ص118.

وهو الذي يرى فيه المصدر خطر يهدده وعلى مدى صحة نظرة الإنسان إلى التراب تتوقف الإستفادة منه[1].

رأى مالك بن نبي أن الجزائر فقدت أهمية التراب خاصة أثناء عملية التصحر الذي ضرب الجزائر وأخذ يزحف من الجنوب إلى الشمال، ممَّا أفقدها الكثير من الأراضي الخصبة والخضراء نتيجة الخمول وعدم الاهتمام الإنسان الجزائري في تقدم لإيجاد حل لهذه المشكلة، إذ أنَّ هذه المشاكل التي تعانيها معضم الشعوب الإسلامية والعربية وماكان عليه إلا أن يقدم حلول لهذه المشكلة، فمالك بن نبي هو صاحب فكرة إنشاء السد الأخضر في الصحراء الجزائرية في المجال الفلاحي[2].

3_3/ الوقت:

إن قيمة الوقت عند الإنسان واحترامه يجعل منه عامل بناء وتشييد، فبمقدار ما يقدس الزمن في العمل بمقدار ما يوظف التراب كشرط عام أولا وكأداة للحصول على قوته اليومي ثانيا، وتتحقق الوظيفة الاجتماعية للوقت، ويصبح عنصرًا أساسيًا في بناء المجتمع وتحريك التاريخ وتكوين الحضارة[3]، فمعجزة الألمان أنهم تمكنو من استعادة مادمرته الحرب العالمية الثانية في وقت قياسي عندما سرى النشاط في نفس الشعب الألماني واليوم وبعد عشر سنوات استطاعت ألمانيا أن تسترجع مكانتها بين الأمم المتحضرة.

والشاهد من القول لابد أن نلقي الضوء على مشكلة الزمن في أذهان الشباب خاصة الشعوب التي توقف فيها الزمن من العطاء الحضاري، وقد عالج مالك بن نبي هذه المسألة من خلال الفهم العربي للزمن وهي قضية مخزنة تشعر العربي ببطء حركته في مضمار

1- آمنة تشيكو، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1989، الجزائر، ص131.

2 -الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ والحركة التاريخية**، المرجع السابق، ص261.

3 -جيلالي بوبكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة، دط، 2010، الجزائر، ص67.

الحضارة ومن ثم تأخره في تكوين المفهوم الحضاري للزمن[1]، بمعنى أن مالك بن نبي أدرك أن العرب لايعرفون قيمته وأن هذا الثمين متصل إتصالاً وثيقا بالتاريخ فلابد للعرب أن يهتمو بالتوقيت الدقيق وتقديسه.

4/ مراحل الحضارة:

كان هدف مالك بن نبي من تحليل مراحل الحضارة هو إبراز الدور التاريخي الذي تقدمه كل مرحلة للمرحلة الموالية وعلى هذا الأساس يرى مالك بن نبي أن كل حضارة تمر بثلاث مراحل وهي:

4_1/ مرحلة الروح:

تعتبر هذه المرحلة بمثابة التمثيل الأولي للفكرة الدينية ودخولها دائرة التأثير وتصل شبكة العلاقات الاجتماعية إلى أكثف حالاتها لا في أكثرها امتدادًا لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[2] أي يصبح المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضًا، وهذا مانراه في الحضارة الإسلامية التي شهدت نوع من القيم الجديدة لنفسية الإنسان الذي استطاع استغلال العناصر (الوقت والتراب) بتوجيه من الدين. فالفكرة الدينية أو الأخلاق الإسلامية تقوم بعملية تكييف تتولى من خلالها إيجاد التوازن بين الحاجات البيولوجية الغريزية في الإنسان والحاجات الروحية، سواءً متعلقة مع المعبود أو بالاندماج في المجتمع كما يتحرر الفرد جزئيا من قانون الطبيعة المفطور في جسده ويخضع وجوده في كليته إلى المقتضيات الروحية التي تطبعها الفكرة الدينية نفسها[3]، بهذا يكون الفرد خلالها في أحسن ظروفه، أي نظام أفعاله تنعكس في فاعليته الاجتماعية كما أن طاقته الحيوية في أسمى تنظيمها.

---

1 محمد جلوب فرحان، **الخطاب النهضوي في فكر مالك بن نبي**، سلسة الدرسات حول مالك بن نبي، دط، 2014، دب، ص50.

2 سورة الصف الأية/04.

3 بوقزدام عمران، **التجديد في المشروع النهضوي عند مالك بن نبي**، دار الهدى، دط، 2015، الجزائر، ص170.

ويقدم مالك بن نبي بعض الأمثلة من خلال مسار الدعوة الإسلامية، حيث يرى أن القانون الروحي أي العقيدة الإسلامية حينما كان بلال بن رباح رضي الله عنه تحت سوط التعذيب رافعا سبابته ولا يفتر عن تكرار قولته أحدٌ؟ أحد؟ من الواضح أن هذه قولة لاتمثل صيحة الغريزة فصوتها قد صمت كما لا يمكن أن يكون صوت العقل أيضا فالألم لايتعقل الأشياء بل إنها صيحة الروح التي تحررت بعدما سيطرت العقيدة عليها نهائيا[1].

4_2/ مرحلة العقل:

في هذه المرحلة حسب مالك بن نبي ماهي إلا تنازل عالم الروح إلى عالم العقل وهي التي تمكن العقل من الفهم والأخذ بالعلم.

فتاريخيا يمثل هذا العصر العباسي الذي يعرف بالعصر الذهبي للحضارة الإسلامية حيث جمع لنا هذا العصر قائمة بأسماء علماء ومفكرين يشهد لهم التاريخ على إبداعهم أمثال: الكندي، الفرابي، الغزالي، وإبن سينا في الفكر وإبن الحفصين وإبن النفيس والرازي والخوارزمي[2] ويكون البناء الاجتماعي في أوجه غير أن هذا كمال تخترقه بعض الشوائب فـ«تنقص الفاعلية الاجتماعية للفكرة الدينية حتى وإن كانت الحضارة نفسها تبلغ أوجها من العلوم والفنون فيها، لكم من مرض اجتماعي يكون قد بدأ فيها وإن يكن أثاره محسوسه لم تظهر بعد بحسب تعبير مالك بن نبي أن العقل يملك سلطة الروح على الغرائز حينئذ تشرع الغرائز في التحرر من قيودها تدريجيا ولاتنطلق الغرائز دفعة واحدة وإنما تتحرر بقدر مايضعف سلطان الروح»[3]، أي كلما ضعفت سلطة الروح كلما كان التحرر التدريجي للغرائز هذا مانراه في عهد بني أمية.

1- سليمان خطيب، **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص95.

2 -الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ**، المرجع السابق، ص265.

3 -محمد شاويش، **مالك بن نبي والواقع الراهن**، دار الفكر، ط1، 2007، سوريا، ص26.

4_3/ مرحلة الغرائز: هي مرحلة سلطة الغرائز على العقل والروح فتصبح هذه الأخيرة عاجزة تمامًا عن القيام بوظيفتها، ويدخل المجتمع مرحلة مظلمة في التاريخ فتستعيد الطبيعة انتصارها على الفرد والمجتمع.

في هذه المرحلة تسود الفردية تبعًا لتحرر الغرائز وتنفسخ شبكة العلاقات الاجتماعية[1]ويسود الانحطاط والإنحلال نتيجة فقدان مبررات وجوده ويبدأ السير التنازلي للحضارة إذ نلاحظ طغيان عالم الأشياء وركود عالم الأفكار أي طغيان نزعة التشيئية في المجتمع والفرد وبتعبير آخر كأن تصبح الزخارف والعناية بالمنظر على حساب الخبر كأن يحدث ماحدث في عجائب ألف ليلة وليلة[2] هذا ما اصطلح عليه بعالم الأشخاص أما عالم الأفكار فإنها تصاب بشلل هذا مايمثل عصر الانحطاط من الحضارة الإسلامية.

ولو حاولنا ترجمة هذه الاعتبارات في صورة تخطيطية لحصلناعلى التخطيط التالي:

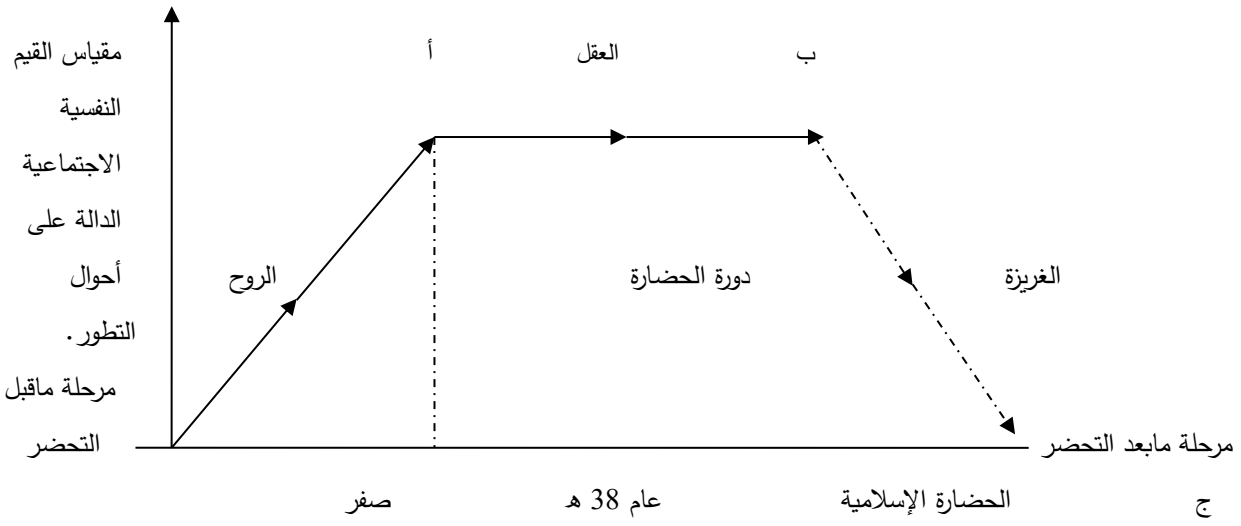

1 الجيلاني ضيف، **بناة المجد– مالك بن نبي**، دار الخلد، ط1، 2013، الجزائر، ص204.

2 الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ**، المرجع السابق، ص270.

المطلب الثاني: معيقات بناء الحضارة عند مالك بن نبي.

يرى مالك بن نبي أن المجتمعات العربية تقف أمام تحديات كبرى ومشكلات تعيقها عن تحقيق ماتصبو إليه، ويمكن اختزال هذه المعيقات فيما يلي:

1/التشخيص الراهن للعالم الإسلامي:

حاول العديد من المفكرين وغيرهم من المهتمين بأمور العالم الإسلامي الوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدت بهذه الأمة إلى ماتعيشه اليوم من ضعف وتصدع كأن هناك مرض ينخر جسدها دون دراسة أسباب هذا المرض والوسائل الفعالة لمكافحته، فالعالم الإسلامي يعاني من اخفاقٍ مزمن متأصل في ذاته أحاله إلى حالة من الركود والخمول والعجز الدائم عن التموقع في هذا العالم، وأوزع البعض إلى إبتعاد المسلمين عن تعاليم الدين الإسلامي الحقة، فضلا عن شيوع البدع والنزعات الشخصية التي تشتت قواهم وأحبطت مختلف مشروعات النهضة والبناء[1]، إذ أن الإنسان استسلم للتقليد في العادات والأذواق بالتالي يقتضي التخلي عن الجهد الفكري ومنه يصبح مقلدا لأفكار صاغتها تجارب وخبرات غيره، ويؤكد مالك بن نبي أن كل مصلح قد وصف الوضع الراهن تبعا لرأيه أو مزاجه، فرأى رجل السياسة كجمال الدين الأفغاني[2] أن المشكلة تحل بوسائل سياسية بينما رأى رجل الدين محمد عبده أن مشكلة لاتحل إلا بإصلاح العقيدة والوعظ على حين أن كل هذا التشخيص لايتناول حقيقة المرض بل يتحدث عن أعراضه[3]، وبالتالي بقيت تفسراتهم تحاكي السطحيات لأنهم لم يناقشوا التأصيل الحقيقي لجذور التخلف في العالم الإسلامي.

1- لامية بوجيدي/كريمة مقاوسي، **الرؤية الإصلاحية في فكر مالك بن نبي**، مجلة الدراسات والبحوث الإجتماعي، جامعة حمة لخضر، العدد19، 2016، الوادي، ص25.

2 جمال الدين الأفغاني(1897/1838): أحد أعلام التجديد في عصر النهضة العربية والإسلامية وصاحب النداء العميق لإيقاظ الأمة من سباتها العميق إهتم كثيرا بمفهوم الأمة الإسلامية من أجل الوقوف ضد الإستعمار الغربي من أهم مؤلفاته تتمة البيان في تاريخ الأفغان، والعروى الوثقى كتابه مشترك مع محمد عبده، البيان في الإنجليز والأفغان...للمزيد أنظر: صلاح زكي، **أعلام النهظة العربية الإسلامية في العصر الحديث**، مركز الحضارة العربية، ط1، 2001، القاهرة، ص35.

3- مالك بن نبي، **شروط النهظة**، المصدر السابق، ص45.

2/ القابلية للاستعمار:

يرى مالك بن نبي أن الأمة الإسلامية تعاني الأمرَّين، فهي عاجزة عن النهوض مادام أن هناك قابلية للاستعمار كامنة في أبناء المستعمرات غير أنهم يتصفون بنوع من اللامبالات والتسلية والاستسلام اتجاه مشكلات الواقع وحالة الرضا والقبول بالوضع المتدهور بدل بذل جهد في تغييره، حينها سندرك أن الاستعمار يدخل في حياة الشعب المستعمر بصفته عاملا مناقضا يعينه على التغلب على قابليته له، فيستسلم على العكس لحظة افتقاره وتحويله كمّا مهملا يكفل نجاح الفنية الاستعمارية، فتلك هي القابلية للاستعمار[1].

مبدئيا يمكن القول أنَّ العالم المتخلف الذي يعاني من الاستعمار لا يزال يهتم بمشكلة الاستعمار في حين أهمل مشكلة القابلية له ناسياً أن ضربات القابلية للاستعمار أخطر من من الاستعمار نفسه[2].

كما يتبين أن الاستعمار لا يتصرف في طاقاتنا الاجتماعية إلا لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك منها مواطن الضعف فسخرها لما يريد كصواريخ موجهة يصيب بها مايشاء[3]، من خلال هذا يعني أن الهزيمة النفسية التي تعانيها طائفة من أفراد المجتمع دفعت بهم إلى مضي عكس الاتجاه الصحيح للتقدم أو مستشرين بغيرهم ليريهم الطريق الصحيح.

إن فكرة القابلية للاستعمار تشبه في فحواها ما ذكره إبن خلدون أن المغلوب مولع بإتباع الغالب، مما يقدم لنا معطى أن البعد النفسي والخلفية الاجتماعية هي التي تمهد لقبول المحتل، وفي سياق متصل يذكر مالك بن نبي: أن الاستعمار لن تكون له القدرة على التصرف في طاقاتنا الاجتماعية والاقتصادية ...لو أننا تحررنا نفسيا من عقدنا التي تجذبنا نحوه فيسخرها

1 رشيد أوزار، **مالك بن نبي والعودة إلى الذات**، المرجع السابق، ص291/290.

2 عكاشة الشايف، **الصراع الحضاري في العالم الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 1988، الجزائر، ص95.

3 مالك بن نبي، **شروط النهضة**، المصدر السابق، ص159.

لمصالحه، فالقضية على هذا الأساس هي كيف نتحرر من أثر هذا الاستعمار، علينا أولا أن نتحرر من سببه وهو قابلية للاستعمار[1]، وبعبارة أخرى لكي ننزعه من الأرض يجب نزعه من الأذهان ولاشك أن مالك بن نبي قد تلمس بعض الحلول لأجل التحرر من عقدة الاستعمار وقابلية له نذكر منها:

- **أولا:** يقتضي دخول الإنسان كعنصر أساسي في معادلة البناء الاجتماعي وهو مايستلزم القيام بعملية مزدوجه :
  1. عملية نقدية تتمثل في تصفية كل مورثات السلبية التي تقف عائقا أمام السير النهضوي للمجتمع.
  2. عملية إنتقاء تجعل الفرد قابلا لمثيرات ذات طابع أخلاقي أو جمالي مثلا ومن شأن هذه العملية أن تحقق علاقة توازنية تضمن سلامة البناء الاجتماعي[2].
- **ثانيا:** إعادة الاعتبار لدور العقل في المجتمع العربي والاجتماعي والإسلامي باعتباره آلة التحرر من الجهل والعبودية وتخليصه من التأويلات المزيفة التي تجعل منه عدو للدين وخطر على العقيدة.
- **ثالثا:** ضرورة مراجعة الأدبيات التاريخية والتراثية لموروثنا وتطهير المجتمعات العربية من رواسب وتبعيات الأفكار الميتة والقابلة للإرادة المرسخة لشعور بالإتكالية والقدرية[3].

بهذا نرى أن مالك بن نبي قد أعطى مفتاح الحلول للإنسان كونه الفاعل الوحيد الذي بيده التغيير الوضع للأحسن وبهذا يكون دور العقل هو تحرر من قيود تبعيات الأمور السلبية التي كانت تسيطر عليه والمضي قدما من أجل التغيير.

---

1 –طاهر سعود، **التخلف والتنمية**، المرجع السابق، ص152.

2 –بودقزدام عمران، **التجديد في المشروع الحضاري**، المرجع السابق، ص257.

3 –http://www.aljaziera.net. عبودية القرن الواحد والعشرين..."القابلية للإستعمار 29/05/2021/12:22 .

المبحث الثاني: تصور مالك بن نبي لمفهوم الأخلاق.

المطلب الأول: تطور مفهوم الأخلاق عبر العصور.

1/ تعريف الأخلاق لغة وإصطلاحا

أ.تعريف الأخلاق من الناحية اللغوية:

ورد في معجم المنجد في اللغة الخلق جمع الأخلاق: المروءة، العادة، الطبع [1].

وقال الفيروز أبادي: الخُلق بالضم والضمتين: السجية والطبع والمروءة والدين[2].

وذكر ابن المنظور: الخلق هو الدين والطبع وحقيقتة أن صورة الإنسان الباطنية وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها[3]

ب.تعريف الأخلاق من الناحية الإصطلاحية:

يعرفها الجاحظ: الأخلاق من الخُلق هو حال النفس. بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية لا إختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والإجتهاد، كالسخاء. قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولاتعمُّل وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة[4].

وذهب الجرجاني إلى أن: الخُلق هو عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية[5].

وقال الماروردي: الأخلاق غرائز كامنة، تظهر بالاختيار وتقهر بالاضطرار[6].

1- لويس معلوف، **المنجد في اللغة**، المرجع السابق، ص194.

2 -الفيروز أبادي، **القاموس الحيط**، دار الحديث، دط، 2008، القاهرة، ص494.

3 -إبن منظور، **لسان العرب**، دار الصادر، ط1، ج5، 2003، تونس، ص1245.

4 -الجاحظ، **تهذيب الأخلاق**، دار الصحابة للتراث، ط1، 1989، مصر، ص12.

5- عبد القادر الجرجاني، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، دط، د ت، ص 106.

6 -محمد الماروردي، **تسهيل النظر وتعجيل الظفر**، دار النهظة العربية، دط، 1981، بيروت، ص05.

وكما ورد في معجم الشواهد الفلسفية: الأخلاق هي معرفة الفضائل وكيفية اكتسابها لتزكوا بها النفس ومعرفة الرذائل ليتنزه عنها[1]، بمعنى كل مايكتسبه المرء من الفضائل التي تساهم في بناء نفس سوية .

ويعرفها ابن مسكوية فيقول: الخُلق هو حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم عنده إلى قسمين أحدهما ما يكون طبيعيا من أصل المزاج والثاني ما يكون مستفادا من عادة التدرب[2].

إذًا من خلال هذه التعريفات نجد أن الأخلاق هي السجايا وحال النفس التي تشكل جميعها صورة الإنسان الداخلية، حيث أنها تمثل المنطلق الأساسي لكل مايصدر عنه من أفعال قد تكون فضيلة أو تكون رذيلة.

2 /تعريف الأخلاق عند الفلاسفة وعلماء الغرب:

الأخلاق عند أرسطو[3]:

الأخلاق عنده هي عمل يهدف إلى تحقيق غاية يصعب بدونها أن يقيم الإنسان بأي فعل، ومن هنا عمل أرسطو على البحث عن غاية الحياة بحيث يرى أن الإنسان من بين سائر الموجودات هو الذي جمع قوة الحس والشعور وقوة العقل وهو بحسه يشبه الحيوان وبعقله يشبه الله وباتحاد تلك القوانين فيه كان كائن أخلاقيا[4] بمعنى أن هذا الاتفاق بين القوتين يُنتج فضائل منها فكرية كالحكمة والفهم والعقل والخلقية كالعفة والكرم، كما أن الهدف والغاية العظمى للإنسان في هذه الحياة هي إدراك السعادة فهي أعلى الصفات الأخلاقية وغاية الغايات كما

1 –جلال الدين سعيد، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، دار الجنوب للنشر، دط، 2004، تونس، ص23.

2– حمدي زقزوق، **مقدمة في علم الأخلاق**، دار القلم، ط3، 1983، كويت، ص31.

3– **أرسطو طاليس(384ق.م/322ق.م):** ولد في أستاغيرا، كان أعظم نوابغ الفكر الغربي في تاريخ الفكر الفلسفي، كان أول من أعطى للفلسفة عالمها الحقيقي له العديد من مؤلفات منها، الأخلاق النيقوماخية، ماوراء الطبيعة وفي السياسة...للمزيد أنظر: جورج الطرابيشي، **معجم الفلاسفة**، المرجع السابق، ص52.

4– نهى عبد العزيز ومحمود يوسف، **دراسة في المذاهب الأخلاقية**، أورنتال، دط، 2009، دب، ص89.

ذهب أرسطو إلى أن العمل بالعقل يوصلنا إلى بلوغ أعلى مراتب للفضائل الأخلاقية وهي السعادة.

2/ الأخلاق عند كانط[1]:

قدم كانط نظرة جديدة إلى الأخلاق يكون فيها القانون أو الواجب دعامة الأخلاق كلها فيقول؛ أما الأخلاق فتفرض القوانين التي يفرضها الكائن العاقل على أفعاله، ويتوقع من الكائنات العاقلة الأخرى التعرف عليها وإطاعتها[2]، بمعنى أن كانط يتوقع من جميع الكائنات العاقلة التعرف على القواعد أو القوانين الأخلاقية، ومتى كان المرء عاقل كلما كان يتماشى طبقا للقاعدة العامة.

وهكذا فالإنسان بقدر ما يكون أخلاقيا يكون عاقلا ويكون بذلك حرا، وبمقدار ما يكون لا عقلانيا يكون بذلك عبدا لرغباته الطبيعية[3]، وبالتالي يمكن القول بأن الأفعال الصادرة عن مبدأ الواجب هي وحدها التي تستحق صفة الأخلاقية.

- كما تطرق بعض العلماء إلى تقديم تعريف للأخلاق من بينهم:

الأخلاق عند غوستاف لوبون (Gustave le Bon):

إذ أنه يؤكد» إذ ما بحثنا في الأسباب التي أدت إلى إنهيار الأمم، وهي التي حفظ التاريخ لنا خبرها كالفرس والرومان وغيرهم، وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيير نشأ عن إنحطاط أخلاقها ولست أرى أمة واحدة زالت بفعل إنحطاط ذكائها فوجه

1- إيمانويل كانط(1804/1724)م: ولد في كونيغسيرغ بألمانيا، تعرف فلسفته بكونها فلسفة نقدية إهتمت بتحليل المعرفة تحليلا نقديا وخلصت من خلال ذلك الإقرار بذاتية الحقيقة وذاتية الغائية و الجمال كما خلصت إلى الإقرار بحقيقة الله والنفس والعالم ...للمزيد أنظر :روني ألفا، **موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب**، ج2، المرجع السابق، ص ص244/250.

2- محمد مهران رشوان، **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، دار القباء للنشر والتوزيع، دط، 1998، القاهرة، ص153.

3- المرجع نفسه، ص161.

الانحلال واحدٌ في جميع الحضارات الغابرة»[1]، بمعنى أنه لايمكن أن تنهار الحضارة بفعل تراجع ذكائها ويضرب لنا مثال بالحضارة الرومانية وماكانت تحتويه من قوة وزعامة وذكاء إلاَّ أنها حملت بذور فنائها بفعل فقداها العنصر الأساسي هو العنصر الأخلاقي وهذا يدل على انغماسها في الرذيلة والترف والدعة والتناحر من أجل السلطة مما جعلها محط أنظار وأطماع.

الأخلاق عند لورنس جولد(Lawrence Gold):

يقول في تعليق له لما يجري من فساد الأخلاق في أمريكا أنا لا أعتقد أن الخطر الأكبر الذي يهدد مستقبلنا يمثل في القنابل النووية الموجهة آليا، ولا أعتقد أن نهاية حضارتنا ستكون بهذه الطريقة إن الحضارة الأمريكية ستزول عندما نصبح عديمي الإهتمام، وغير مبالين بما يجري في مجتمعنا عندما تموت العزيمة على إبقاء الشرف والأخلاق في قلوب المواطنين[2]، هذا مايعني أن مصير أمريكا ليس الزوال بالأسلحة موجهة نحوها وإنما زوالها سيكون بسبب دخولهم في دائرة اللامبالاة بسبب تراجع أخلاق وعدم الإهتمام بهذا العنصر.

المطلب الثاني: تعريـف الأخلاق عند مالك بن نبـي

عالج مالك بن نبي فكرة الأخلاق ضمن سياقات مختلفة نذكر منها:

1/الأخلاق والفكرة الدينية: والتي تمثل عنده بمثابة القلب أو الشريان الذي يضخ الحضارة بأكملها كما اعتبرها الركيزة الأساسية في التغيير الحضاري وتطوير الواقع الاجتماعي حيث يقول «فإن الفكرة الدينية لا تقوم بدورها الاجتماعي إلاَّ بقدر ما تكون متمسكة بقيمتها الغيبية»[3]، فـ«الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض تأتيها مع نزول الأديان عندما تولد الحضارت

1-غوستاف لوبون(1931/1841): ولد في مقاطعة نوجون بفرنسا درس في كلية الطب أهتم بعلم الحضارت بشكل عام وهو من الذين إعترفو بوجود فضل للحضارة الإسلامية على العالم الغربي، من أهم مؤلفاته: الموت الظاهر والدفن المبكر...للمزيد أنظر: فايز بن علي الشهري، **غوستاف لوبون**، المركز الثقافي للكتاب، ط1، المغرب، ص22.

2- محمد بن مسعود البشر، **السقوط من الداخل**، ص87، نقلا عن العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، ص339.

3- مالك بن نبي، **شروط النهضة**، المصدر السابق، ص49.

ومهمتها في مجتمع ربط الأفراد ببعضهم البعض»[1]، كما يشير ذلك في القرآن الكريم ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)** ﴾[2]، بمعنى أن الأخلاق هي منحة ربانية لعباده على وجه الأرض، كما أن مالك بن نبي لا يخصِّص هذا الحديث على الديانات السماوية فقط بل يتعداه إلى حضارات أخرى كالبوذية والبراهمية وغيرهم، أي أن كل حضارة في أساسها ذات مبحث ديني ولا يمكن لأي حضارة أن تظهر في نظر مالك بن نبي إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعاً ومنهاجاً، أو هي على الأقل تقوم في أساسها على توجيه الناس نحو معبود غيبي[3].

والجدير بالذكر أن مالك بن نبي لم يهتم بالأخلاق كتنظير فلسفي خالص وإنما حاول تقديم رؤية اجتماعية متأصلة في الفرد، بحيث يؤكد بأن «ليس المقصود هنا تشريح مبادئ الخلقية بل أن نحدد قوة التماسك لدى الفرد في المجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة (الحياة في الجماعة) عند الفرد...والمجتمع الذي يجتمع لتكوين حضارة فإنه يستخدم تلك الغريزة نفسها لكنه يهذبها ويوظفها بروح سامية»[4]، وتكون هنا الأخلاق صورة الفرد داخل المجتمع لأن يتشبث بها الأفراد بأسرهم برباط التآلف والاتحاد وهذه جديرة بأن تؤلف لنا حضارة المنشودة»، ومن هنا ندرك سر القيمة التي خص بها (عالم الإجتماع) محمد صلى الله عليه وسلم الفضائل الخلقية باعتبارها قوة جوهرية في تكوين الحضارات"[5]، لأن الروح الخلقية تتيح للحضارات التقدم والنهوض، فحيثما فُقدت سقطت الحضارة وانحطت.

2/الأخلاق والجمال:

1- مالك بن نبي، **شروط النهضة**، المصدر السابق ، ص94.

2- سورة الأنفال الأية 63.

3- بدران بن لحسن، **الدور الحضاري للدين**، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، قطر، العدد10، 2015، ص127

4- مالك بن نبي، **شروط نهضة**، ص94.

5 مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، المصدر السابق، ص30.

يقول المثل أنه لا قيمة للجمال إذا انعدم الخُلق، فالذوق الجمالي مرتبط ارتباط وثيق بالمبدأ الأخلاقي، لأن هذا الأخير هو الذي يحدد للمجتمع الدوافع والغايات، فإنَّ العنصر الجمالي يصوغ صورته، «فإن الأول تنتهي عمليتة عند إنشاء الأشياء وفهمها بينما الثاني يستمر في تحليل الأشياء وتحسنها»[1]، أي يضفي على الأشياء صور جميلة من حيث الألوان والأشكال، فالذوق الجميل الذي يطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نُزوعا للإحسان في العمل، توخيا للكريم من العادات[2] يعني أن الذوق الجمالي يضيف إلى الواقع الأخلاقي عند الفرد دوافع إيجابية التي من شأنها أن تُعدل سلوك الأفراد السلبية.

ويؤكد مالك بن نبي لكي يُخرج المجتمع من فوضاه وركوده يجب أن يولي أهمية بالغة لشعيرة الجمال ويبث معناها في سائر وجوه النشاط الإنساني، في الملابس والعادات وحتى أساليب المشي[3]، فحسبه الجمال يخلق في نفس الفرد دينامكية ويحرك الهمم وينشط فاعليته في المجتمع ومالك بن نبي ينظر إليه من الزاوية النفسية والاجتماعية وليس باعتباره الظاهري فقط، فهو يقول «لا يمكن أن نوحي بالخيال الجميل، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة لابد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه»[4]، وبهذا تبرز أهمية الفنون الجميلة في أحد موقفين، فهو «إما داع إلى الرذيلة فإذا ماحددت الأخلاق مثله وغذى الجمال وحيه فينبغي عليه أن يحدد هو وسائله وصوره الفنية للتأثير في الأنفس»[5].

1- مالك بن نبي، **تأملات**، المصدر السابق، 146.

2- عبد اللطيف عبادة، **نصوص مختارة من مؤلفات مالك بن نبي**، عالم الأفكار، ط1، 2007، الجزائر، ص70.

3- الطاهر سعود، **التخلف والتنمية**، المرجع السابق، ص218.

4- مالك بن نبي، **شروط النهضة**، المصدر السابق، ص98.

5- الجيلالي الضيف، **بناة المجد**، المرجع السابق، ص209.

الخلاصة:

وفي خلاصة هذا الفصل نستنتج أن مصطلح الحضارة هي جزء محوري في النسق الفكري لمالك بن نبي، إذ تتكون الحضارة من عدة شروط تكمل نسقها وانسجامها فتركز على انسجام الجهود الإنسانية كونهم الفاعلين فيها، وثانيا التراب الذي هو جزء منها وثالثا الوقت الذي يستغله الإنسان، فبهذه المركبات تنتج لنا الحضارة المنشودة لنتحصل في الأخير على المعادلة التالية:

*الحضارة = الإنسان + التراب + الوقت .

بالإضافة إلى دراسة مالك بن نبي للدور التاريخي للحضارة من خلال دراسته للحضارة الإسلامية ليصل إلى نظرته في الدورة الحضارية مفسراً بذلك لظاهرة البناء والسقوط الحضاري، ليبرز من خلالها الدور الذي تلعبه الفكرة الدينية في تكوين الحضارات.

كما رصد مالك بن نبي المعيقات التي تشكل عائقًا أمام التطور الذي تصبو إليه الأمة الإسلامية لتحرز لها مكانة بين الأمم الأخرى، أرجح مالك بن نبي فيها إلى طغيان عالم الأشياء على حساب عالم الأفكار أو بالأحرى انعدامه.

أما عن الأخلاق فبحث مالك بن نبي عن مفهومها بعيداً كل البعد عن التنظير الفلسفي المجرد، فهو عالجها كبعد ديني واجتماعي لأنه رأى بأنها مرتبطة أكثر بالسلوك الإنساني فهي ديناميكيته، كما وظفها في بناء الحضارة باعتبارها عاملا جوهريا يُسهم في بقاءها وحفظها.

الفصل الثالث

محورية الأخلاق في بناء المشروع الحضاري عند مالك بن نبي

❖**تمهيد**

المبحث الأول: علاقة الأخلاق بالحضارة

✓**المطلب الأول:** الأخلاق وعلاقتها بالتربية

✓**المطلب الثاني:** الأخلاق وعلاقتها بالسياسة

✓**المطلب الثالث:** الأخلاق وعلاقتها بالاقتصاد

المبحث الثاني: دور وأهمية الأخلاق في بناء المشروع الحضاري

✓**المطلب الأول:** دور الأخلاق في البناء الحضاري

✓**المطلب الثاني:** أهمية الأخلاق في البناء الحضاري

❖**خلاصة**

تمهيد:

لقد أَولى مالك بن نبي عنايته بالأخلاق كمحور أساسي للنهوض وبناء المجتمع، فالأخلاق هي منظومة من القوانين والأحكام التي تحكم المجتمع وتقوده نحو الصلاح والنهضة وتحميه من الضياع، بهذا تكون هي اللب الحقيقي لمشروعه الحضاري فهو ينطلق من الفكرة الدينية أي الأخلاق وتأثيرها على الفرد والمجتمع.

وفي هذا الفصل سوف نتطرق إلى تقديم عصارة فكر مالك بن نبي الذي يتمثل في الأخلاق أو الفكرة الدينية وتبيان علاقتها بالبناء الحضاري كون أنها تدخل في ضبط سلوك الفرد وعلاقته بالمجتمع، أي كيف يكوّن شبكة علاقات اجتماعية على أساسٍ قويم وكيف يبني منظومة سياسية قائمة على العدل وتحقيق بناء اقتصادي مزدهر وهذا لن يتحقق إلاَّ بتفعيل القيم الأخلاقية، بالإضافة إلى إبراز المكانة والدور التي تكتسبها الأخلاق في بناء إنسان والحضارة.

المبحث الأول: علاقة الأخلاق بالحضارة.

سبق وتناولنا أن مالك بن نبي قد عالج مفهوم الأخلاق وفق منظور اجتماعي لا فلسفي خالص، وبهذا تكون علاقتها بالبناء الحضاري كون أنها تدخل كعامل مهم في ضبط بنياتها الأساسية المتمثلة في التربية والسياسة والاقتصاد.

المطلب الأول: الأخلاق وعلاقتها بالتربية.

أصبحت التربية الأخلاقية استراتجية وعامل مهم في التنمية الاجتماعية وقد صاغ مالك بن نبي مفهوم التربية على اعتبار أنها تستمد مشروعيتها من الفكرة الدينية أي الأخلاق الإسلامية وكذلك الجتمع، ولتقديم المفهوم الصحيح للتربية عند مالك بن نبي لابد أولاً التحرر من فكرة ارتباطها بالطفل وبالمؤسسة التعليمية وإنما التربية التي يريدها مالك هي التي تتعلق بسلوك الإنسان وبوسطه الاجتماعي فيقول مالك: «ليست التربية مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع، على عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء، وليست من إنتاج المتعالمين وبحار العلوم...بل هي وسيلة فعَّالة لتغيير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما وكيف يكوّن معهم شبكة العلاقات التي تتيح لمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ»[1].

وبهذا تكون التربية هي عملية تحضير الفرد وكيفية التعامل مع غيره للمساهة في بناء مجتمع متحضر، فيقول «ليس الهدف من التربية أن نعلَّم الناس أن يقولوا أو يكتبوا أشياء جميلة ولكن الهدف أن نعلِّم كل فرد فن الحياة مع زملائه، أعني: أن نعلِّمه كيف يتحضر»[2]، انطلاقا من هذه الرؤية تبدو التربية كعملية لتحضير الإنسان وجعله كائننا متميز ويكون بذلك نواة المجتمع الذي ينتظر منه أن يسجِّل حضوره في التاريخ بجدارة.

ويبرز مالك بن نبي أهمية التكيف التربوي للفرد من أجل توفير الواقع النفسي المطلوب لتمكينه من الإندماج والانتماء في المجتمع، فالتربية تمكنت من نقله من وضعية الفرد إلى

1- مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، المصدر السابق، ص100.

2- المصدر نفسه، ص99.

وضعية الفرد المكيف الذي تستهدف ترسيخ المعاني من خلال تغيير صفاته البدائية[1]، وبناءً على ماسبق يتضح أن التربية ذات عملية تكيفية لإدماج الفرد في المجتمع لتوظيف طاقاته للتغيير الاجتماعي.

بالإضافة إلى أن التربية ليست أسلوبًا للضبط الاجتماعي فقط، وإنما هي عملية اجتماعية ونفسية تسهم في صناعة الإنسان، غير أن هذا التغيير لا ينزل وحيا من السماء بل إنه فعل إرادي يحدثه الإنسان في ذاته ليمنحه القدرة على التغيير الاجتماعي[2].

فالتربية لا يجدها الإنسان جاهزة مفطورة فيه، وإنما هي سلوك مكتسب، فالفرد وحده قادرٌ على ضبط هذا السلوك للأحسن من خلال تنمية وعيه وضبطه من خلال التعاليم التي تقدمها التربية الخلقية كالابتعاد عن السرقة والكذب والقتل والإكثار على المحامد، كلها تعاليم أخلاقية تضعنا في طريق الحضارة وهي التي تعلمنا فن الحياة مع أقراننا[3].

و من خلال هذه التعاليم الأخلاقية ترسخ لنا عدة أسس ضرورية منها:

أ/ مبدأ التعاون:

يرى مالك بن نبي أن ميزة التعاون لازمة للأفراد فيصبح المجتمع نسيجا واحدا يساعد كل منهم الأخر. فتقوم المجتمعات على مبدأ التعاون لكي تؤسس شبكة علاقتها على نوع من التساند الغني بالنماذج وصور الراقية لعمق العلاقات الاجتماعية فالمجتمع المتخلف؛ ليس موسوم حتما بنقص في الوسائل المادية، وإنما إفتقاره لأفكار من خلال عجزه في طرح مشاكله أو عدم طرحها على الإطلاق[4] وبتالي فقيمة التعاون تمثل اللبنة الأساسية في بناء المجتمع من خلالها يشعر الفرد بالحياة مع الجماعة .

1-عمر النقيب، **مقومات بناء إنسان حضارة في فكر مالك بن نبي**، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط1، 2009، الجزائر، ص59.

2-الكبار عبد العزيز/صغير نجاة، **التربية والتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي**، مجلة منيرفا، قسم العلوم الإجتماعية، مجلد05، العدد01، تلمسان، ص 203.

3 -العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص290.

4- الجيلالي الضيف، **بناة المجد – مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص 129.

ب/ التخلص من الأفكار الوهمية المستنبطة من العادات والتقاليد:

فمالك دائما يؤكد على فكرة أن المجتمع لا يحقق نهضة ولا يعرف التقدم دون التخلص من العادات والتقاليد السلبية الموروثة عن الأجداد والأفكار المترسّبة من الماضي، وبهذا سيتكون لدى الفرد الطابع النقدي يجره لتصفية كافة الموروثات والمقدسات الوهمية فيضع لها حد ويبحث عن وضع جديد لتحقيق النهضة.

ج/ بناء شبكة علاقات اجتماعيـة:

أكد على ضرورة تغيير إنسان ما بعد الموحدين في إطار ثقافته بمشروع تغيري سماه (البرنامج التربوي للثقافة) وضبطه بالدستور الخلقي أو الفلسفة الأخلاقية التي توجه المنهج التربوي لعالم الأشخاص.

فمن خلال هذا البرنامج التربوي نتبع فكرة التربية الاجتماعية التي لا تعني شيئا، إذ لم تكن وسيلة فعالة للتغيير نحو الأحسن دائما أو كيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ[1].

كما أيقن على أن شبكة العلاقات الاجتماعية لا تكون قويمة إلا إذا ارتكزت على المبادئ الأخلاقية، وكلما كانت الأخلاق تقوم بدورها كانت سلوكات الأفراد مضبوطة تسير وفق التقدم، فالتربية تتسم بعملية نقل القيم والمعرفة والمعتقدات إلى الفرد لجعله يتواصل مع الآخرين لذلك يجب بناء شبكة العلاقات الاجتماعية على أساس القيم الأخلاقية الإسلامية [2]

فالإسلام جاء ليكمل مكارم الأخلاق، وبذلك أعطى للتربية الخلقية بعداً إستثنائيًا في تنمية الفرد والمجتمع فيقول مالك بن نبي «إن روح الإسلام هو الذي يخلق من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع إسلامي، حتى كان الرجل في المجتمع الجديد يعرض على

1–مولاي خليفة لمشيشي، **مالك بن نبي–دراسة إستقرائية**، دار النايا، ط1، 2012، سوريا، ص141.

2– دوسن حليمة، **الهيكلة التربوية والإجتماعية في فكر مالك بن نبي**، مذكرة لنيل شهادة الماستر،2016/2015، جامعة محمد بوضياف، مسيلة.

أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه بعد أن يطلقها له كي يبني بذلك أسرة، ولكن أي إسلام؟ الإسلام المتحرك في عقولنا وسلوكنا والمنبعث في صورة الإسلام الاجتماعي»[1].

فالدين الإسلامي ليس فقط دين عبادات فهو قبل ذلك دين معاملات والأخلاق والعلاقات الاجتماعية السوية يطبعها الإسلام في نفس الفرد فيحب لغيره مايحب لنفسه وبالتالي هذه السلوكات تعزز نمو القيم التربوية والأخلاقية العليا المستمدة أساسا من التعاليم الإسلامية. فيضيف مالك: «فالعلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان، هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان وهذه العلاقة تلد في صورة قيمة أخلاقية»[2].

المطلب الثاني: الأخلاق وعلاقتها بالسياسة.

وفي بيان الحديث عن هذه العلاقة نقف أولاً على مفهوم السياسة عند مالك بن نبي فيرى بأنه «عمل تقوم به الدولة منظم ومحدد بميثاق وطني ووقايته من أعمال التخريب»[3] بمعنى أن السياسة تكون من مهام الدولة وضبط ما تقوم به من أعمال وفق ميثاق أي دستور متفق عليه .

ولكن هذا التعريف ليس بالكافي بالنسبة له فيقول بأنها «توجيه الطاقات الاجتماعية لتحقيق بناء المجتمع في الداخل وتحقيق مكانة في الخارج»[4] وبهذا تقوم السياسة على كفتين، أولا أنها تحقق بناء اجتماعي متين يقوم على القيم الأخلاقية وثانيا تحفظ مكانتها بين الأمم الأخرى.

ويؤكد مالك بن نبي على ضرورة أن لا تقوم الدولة على العاطفة باستخدام كلمات جوفاء لتأثير في شعبها.

فطريق السهولة يؤدي حتما إلى الهضمية التي تلبي الشهوات فحينما تخطط السياسة طبقا لمبدأ السهولة فإنها تجذب إلى تيارها الكثير من الناس ذوي النوايا الطيبة، الذين يقدرون

1- مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، المصدر السابق، ص81.

2 –مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، المصدر السابق، ص56.

3 –مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، المصدر السابق، ص81.

4– مالك بن نبي، **تأملات**، المصدر السابق، ص25.

الأشياء بناءَ على سهولات الحاضر لا على صعوبات المستقبل[1]، وبالتالي فميدان السياسة لابد أن تتجلي فيه الخصائص الأخلاقية والفكرية والجمالية والعلمية.

أ/ ضرورة ارتباط السياسة بالمبادئ الأخلاقية:

يقول مالك بن نبي «أن العلم بدون ضمير ما هو إلا خراب الروح، فالسياسة دون أخلاق ماهي إلا خراب الأمة»[2]، فبطبيعة الحال السياسة التي لا تتضمن في مبادئها على المبادئ الأخلاقية فإن مصيرها الخراب، وبهذا تدخل الأخلاق كرابط وشرط أساسي لتحقيق الترشيد السياسي من أجل النهوض بالأمة.

لذلك فالمبدأ الأخلاقي أحد ركائز البناء السياسي، فلا يتصور عمل سياسي متكامل بدون الترام أخلاقي يحافظ على الثقة المتبادلة بين الحكام والمحكومين وهو ما يتضمن إستمرارية وجود الدولة[3]، بمعنى أن الثقة لابد أن تدخل في تحديد طبيعة العلاقة بين الدولة والشعب على عكس استصغار الشعب واحتقاره لتحقيق مكاسب السلطة، ويعطي مالك بن نبي مثلا عن دور الأخلاق هو تصريح رئيس كوبا فيدال كاسترو[4]عندما قال: أن مصلحة الدولة والسياسة لا تقوم على الحسابات وإنما تقوم على مبدأ أخلاقي [5].

والتصور الأخلاقي عند مالك بن نبي متفرع عنده في طبيعة العلاقة بين العلم بالأخلاق، من خلال أن الممارسات السياسية تتحكم فيها المبادئ الأخلاقية، فالدولة في التفكير الأوروبي ترتبط بمبدأ القوة والاستيلاء والغاية تبرر الوسيلة، بينما نجد للدولة الإسلامية هدف أخلاقي،

---

1 –رشيد أوزار، **مالك بن نبي والعودة إلى الذات**، المرجع السابق، ص337.

2– مالك بن نبي، **المصدر السابق**، ص 80.

3– بدقزدام عمران، **التجديد في المشروع الحضاري**، المرجع السابق، ص259.

4– **فيدال كاسترو(2010/1926)** ولد في مقاطعة أورينت جنوب شرق كوبا، مناضل كوبي بارز شارك في العمل الثوري على إثر الإنقلاب على الدكتاتور باتيستا ودخل السجن لمدة 15سنة لعب دورا هاما في الثورة الكوبية ضد الإمبريالية الأمريكية وتحفيز المقاومة لدى شعب الكوبي..للمزيد أنظر: نوال صوالح، **الحركات التحرر في أمريكا اللاتينية**، مذكرة ماستر في تاريخ المعاصر 2019/2018، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص54.

5– مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، المصدر السابق، ص22.

لأن تكامل الحياة السياسية بأحسن صورة متوقف على قيامها وكذلك هي تجسيد للقيم والمثل الإسلامية[1].

فانفصال السياسة عن الأخلاق والذي بلغ غايته في نهاية القرن التاسع عشر نتيجة الاكتشافات الجغرافية والثورة الصناعية في أوروبا أصبح العلم يسير في طريق وأخلاق في طريق آخر فوسيلة القوة والغاية طغت على التجسيد السياسي، ورأى مالك بن نبي أن هذه الطريقة أدت إلى خلق نتوءات مرضية سياسية خلفت من خلالها مشاكل جمة للإنسان، فالعلم وحده لايستطيع إصلاح ما أفسده، وجدير بالذكر أن هذا الفساد توج بظهور السياسات الاستبدادية الطاغية مثل (النازية والفاشية) التي كانتا سبب في قيام الحربين الأولى والثانية.

ب/ الفرق بين السياسية والبولتيك:

صاغ مالك بن نبي مصطلح البولتيك للتعبير عن واقع السياسة في العالم الإسلامي وذلك بإبراز الفرق بينها وبين السياسة كعلم متعارف عليه، فالكثير ما يخلط بين السياسة كعلم له فواعده وأخلاقه ومنهجه العلمي وبين الممارسات الاستبدادية واللا أخلاقية، لهذا يقول «أنه يجب أن نفرق بين السياسة ومصطلح البولتيك فالسياسة هي تفكير في كيفية خدمة الشعب وهي علم لها وظيفتها المميزة عند الدول التي تعرف ماهيتها، أي تعرف كيف تجسدها لتحقيق متطلباتها وغايتها فعندما يرتفع الصخب في السوق وتكثر حركات اليد واللسان، وعندما لايسمع الشعب غير الحديث عن الحقوق دون أن يذكر واجباته وعندما يشرع بالطرق السهلة الناعمة فتلك هي البولتيك»[2]، وبالتالي أصبحت البولتيك اليوم كلمة تدل على الاحتيال والنفاق السياسي والمرواغة وكل ما يعاكس القيم الأخلاقية وهي الصورة المزيفة للسياسة هذا ما ينطبق أكثر على الممارسات السياسية في العالم الإسلامي اليوم، على عكس الدول الغربية التي قطعت شوطا في التحضر، وبالرغم من علمانيتها إلاَّ أنَّ تجسيد السياسة فيها واقعي من خلال ماتحتويه من دساتير لضبط سلوك الأفراد وجعلهم خاضعين لسياسة الدولة ومعرفة واجباته

1- لمشيشي مولاي، **مالك بن نبي دراسة إستقرائية**، المرجع السابق، ص173.

2- مالك بن نبي، بين **الرشاد والتيه**، المصدر السابق، ص 98.

وحقوقه على أكمل وجه، بهذا يكون العمل السياسي قائم على مبادئ وأسس يضمن أن لا تصبح السياسة بولتيكًا.

ج/ الديمقراطية كتجسيد أخلاقي:

حسب مالك بن نبي لابد أن نوضح أولا مصطلح الديمقراطية فيقول «نحن لا نعرف متى دُرجت في اللغة العربية بوصفها مفردة مستوردة، ولا نعرف حتى تاريخ حدوثه في لغته الأصلية، وإنما نعرف أنه صيغ في اللغة اليونانية قبل عصر (بريكلاس)، إذ أن المؤرخ (توسديد) يذكره على لسان هذا القيصر في إحدى خطبه الموجهة إلى شعب أثينا، أي منذ خمسة قرون قبل الميلاد»[1]، فمتعارف عليه أن مصطلح الديمقراطية مستورد من حقبة العصر اليوناني وبالتحديد في أثينا.

بينما اقتصر تعريف الديمقراطية في العصر الحديث حسب قاموس الاشتقاق في اللغة الفرنسية تدل على كلمة مركبة من مفردتين يونانيتن وتعني (سلطة الشعب) أو سلطة الجماهير كما تعودنا أن نقول اليوم، أي بتعبير تحليلي موجز (سلطة الإنسان)[2] وحسب تعبير مالك هذا المفهوم بقي كما هو في عصرنا الحالي وتكون بذلك الديمقراطية هي تجسيد لسلطة الشعب وجعله مصدرًا للحكم.

لكن مالك بن نبي يؤكد على ضرورة تحديد جوهر الديمقراطية من دون ربطها بأي مفهوم أخر، ففي هذا الإطار سيتضح لنا أن الديمقراطية تتحدد طبقا لثلاثة وجوه:

1) الديمقراطية بوصفها شعور نحو ال(أنا).
2) الديمقراطية بوصفها شعور نحو الأخرين.
3) الديمقراطية بوصفها مجموعة الشروط الاجتماعية السياسة الضرورية للتكوين والتنمية هذا الشعور في الفرد[3].

1 –مالك بن نبي، **تأملات**، المصدر السابق، ص66.

2 -المصدر نفسه، ص67.

3– المصدر نفسه، ص68.

وهذه الوجوه الثلاثة تتضمن حسبه شروط الذاتية والموضوعية، أي كل الاستعدادات النفسية التي يقوم عليها الشعور الديمقراطي والعُدة التي يستند عليها النظام الديمقراطي في المجتمع[1]، وهذه الشروط ليست من وضع الطبيعة ولا من مقتضيات النظام الطبيعي، بل هي خلاصة ثقافة معينة وتتويج لحركة الإنسانيات وتقدير جديد لقيمة الإنسان، تقديرٌ لنفسه وللأخرين[2]. وعليه فإن مالك بن نبي ينظر إلى الدمقراطية باعتبارها تتحقق وفق شروط ذاتية وموضوعية.

فالأولى تتمثل في تحقيق شعور نحو الأنا ونحو الأخرين، والثانية تتمثل في الشروط الموضوعية أي الاجتماعية متمثلة في العادات والتقاليد التي لابد على الدمقراطية أن تحققها، كما أن هذه الشروط ليست من وضع الطبيعة بل هي نتاج ثقافة معينة وشعور داخل الفرد اتجاه نفسه وإتجاه الأخرين والديمقرطية ليست مقتصرة على جانبها السياسي بل لها جوانبها النفسية والاجتماعية.

يطرح مالك بن نبي سؤالاً: «هل الإسلام يتضمن ويكفل هذه الشروط الذاتية والموضوعية، أي هل يكون نحو (الأنا) ونحو (الآخرين) الشعور الذي يطابق الروح الدمقراطية كما بينا، وهل يخلق الظروف الاجتماعية المناسبة لتنمية هذا الشعور؟»[3]، فيرى بأنه لابد لكل مشروع يهدف إلى تأسيس الديمقراطية أن يشتمل على الجانب النفسي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي، وبالتالي فإنَّ هذا البحث لا يتعلق بالضرورة بنص فقهي مستنبط من السنة والقرآن الكريم، بل يتعلق بجوهر الإسلام عامة ترى من خلاله موقع الإنسان المسلم في المجتمع، نحو تحقيق القيم والمثل الديمقراطية، في صورة بذور غرست في الوعي الإسلامي، وفي صورة شعور عام ودوافع تكون المعادلة الإسلامية في كل فرد ومجتمع[4]، فينطلق مالك بن نبي في سوق الموانع الحاجة إلى الدمقراطية في قوله تعالى﴿وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] فالعزة

1- مالك بن نبي، **تأملات**، المصدر السابق، ص69.

2- المصدر نفسه، ص69.

3 - المصدر نفسه، ص74.

4 -المصدر نفسه، ص76.

5-سورة المنافقون، الأية/08.

تمنع الكبرياء والاستبداد لأنها تتجسد في سمو ورفعة الأخلاق والترفع عن الرذائل، وهذا مايتطلب التضحية من أجلها، فالإسلام أكبر من ديمقراطية الغرب[1].

بهذا تكون السلطة السياسة في الإسلام تستمد مبادئها من الشريعة الإسلامية، فالوجبات والحقوق كفلها الإسلام قبل أن تكفلها الديمقراطية وهكذا أصبحت السياسة الإسلامية نموذجًا تربويًا يُحتذى به، لأنها تستمد قيمتها الأخلاقية من الفكرة الدينية التي جاءت في البداية لتحرر الإنسان من عبودية الأصنام والأوثان، فالإشعاع الروحي الديمقراطي الذي بثه الإسلام ينتهي أيضًا في العالم الإسلامي عندما فقد أساسه وبنيته[2]،

فالحضارة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين الذين بلغت الدمقراطية أوجها من طاعة بين الحاكم والمحكوم، بالإضافة إلى الثقة المتبادلة بينهم التي تجسدت في صورة الرجل الأعرابي الذي رد على خليفة فقال له ولله لو رأينا فيك إعوجاجا لقومناك بسيوفنا هكذا يبرز صميم الواقع الذي سجله التاريخ الإسلامي، أما حال العالم الإسلامي اليوم فقد سلك اتجاهً لا يحمد عقباه رجع إلى زمن العبودية.

د/الأخلاق والإنسانية العالمية:

لقد رأى مالك بن نبي أن العالم لا بد أن يجنح للسلم والحوار، فقد أعجب كثيرا بفكرة اللاعنف عند الغاندي[3]، فهو دائما يذكره ويطمح من خلالها إلى تحقيق السلام العالمي فيقول عنه: «النبرة الوحيدة التي تسطيع التعبير عن اللاعنف بالصوت ذاته...هذا الصوت الضعيف الذي أبدى قوته القهارة على أربعمائة مليون من البشر سلحها بالصبر والبشاشة»[4] فكان مالك بن نبي يبنى أحلامه الفلسفية بتجسيد السلم العالمي عندما قال: «وهكذا رفاة الغاندي التي

1- الجلالي ضيف، **بناة المجد-مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص165.

2- العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، الملرجع السابق، ص366.

3- **المهاتما غاندي(1948/1864)**: ولد في بلدة كوجرات الهندية، سياسي بارز وزعيم الروحي للهند إسمه الأصلي موهنداس كرمشاند غاندي، لكنه إشتهر بإسم مهاتما والتي تعني الروح العظيمة هو لقب أطلقه عليه شاعر الهندي ربندرات للمزيد أنظر: يوسف سعد يوسف، **عظماء من العالم -غاندي**، المركز العربي الحديث، دط، د س، القاهرة، ص7.

4- مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، المصدر السابق، ص151.

ذروها، ستعود مع الأيام في أعماق الإنسانية كما ينطلق يوما إنتصار اللاعنف ويشيد السلم العالمي»[1]. وطموحه هذا كان أبعد من ذلك فهو أراد توحيد الأمة الإسلامية تحت مشروع أسماه الكمنويلث الإسلامي نتيجة تأثره بالكمنويلث البريطاني فيضيف قائلا: «إذا ما تناولنا موضوع الكمنويلث الإسلامي باعتباره مجرد موضوع للدراسة المقصود منه هو وضع تصميم للعالم، إذ أن لا جدال في أن العالم الإسلامي قد احتفظ بالرغم من التقلبات التارخية بوحدة روحيه تكون عاملاً أساسيًا من الوجهة النفسية لتماسك المشروع من وجهة فنية توفق بين عناصره، وعلا على ذلك فإن هذه الوحدة لاتستطيع أن تقوم بدورها الكامل إلا إذا انسجمت في صورة لإرادة العالم الإسلامي الجماعية»[2].

المطلب الثاني: الأخلاق وعلاقتها بالاقتصاد

لطالما كانت الأخلاق تدخل كعامل جوهري لضبط وتوجيه البنى الحضارية، والاقتصاد هو الجزء الأكبر للتنمية في الدولة؟ لكن مالك يرى بأن الاقتصاد ليس قضية إنشاء وتشييد مصانع فحسب، بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات[3]، وهذا يوحي بأن هناك ارتباط وثيق بين الاقتصاد والأخلاق التي تسعى إلى بناء وتغيير سلوك الفرد قبل إنشاء المادة، فمادام أن الاقتصاد مرتبط بالمبادئ الأخلاقية فإن عملية الإقلاع الاقتصادي يجب أن يكون ضمن منظومة متكاملة منطلقها الأساسي هو الإنسان، فهو يرى أنه لا يمكن أن تنجح أي تجربة اقتصادية إذا لم تراعي لقيمة الإنسان[4] بمعنى لابد من ارتباط الواقع الاقتصادي بالواقع الاجتماعي فـ«الاقتصاد هو جسم الحضارة على شرط أن يحدِّدها بصفتها مجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يقدم جميع الضمانات الاجتماعية لكل فرد يعيش فيه»[5]، وتكون بذلك الحضارة تحتوي على جانبين أولهما يتضمن

1- مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، المصدر السابق، ص152.

2- مالك بن نبي، **فكرة الكمنوليث الإسلامي**، المصدر السابق، ص43.

3- رشيد أوزار، **مالك بن نبي والعودة إلى الذات الفاعلية والسننية**، المرجع السابق، ص263.

4- بودقزدام عمران، **التجديد في المشروع الحضاري**، المرجع السابق، ص261.

5- مالك بن نبي، **المسلم في عالم الإقتصاد**، المصدر السابق، ص61.

الشروط المعنوية من خلال قيام مجتمع بمهامه الاجتماعية والجانب الذي يحتوي الشروط المادية من خلاله يضع للمجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهماته.

ويؤكد مالك بن نبي أن المشكلة الاقتصادية بعدها اجتماعي بالدرجة الأولى، ليضرب لنا مثالاً بالنهضة الألمانية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ومحاولة أندونيسيا للنهوض بإتصادها نتيجة استقلالها كذلك مع نهاية حرب العالمية الثانية حيث استعانة أندونيسيا بمشروع الخبير الاقتصادي الألماني شاخت الذي حقق نهضة لاقتصاد ألمانيا، هنا مالك بن نبي يطرح سؤالاَ: لماذا نجح المشروع في ألمانيا وفشل في أندونيسيا بالرغم من إمتلاكها للموارد الطبيعية والأراضي الخصبة والإمكانيات البشرية؟ مالك بن نبي لا يجد مبررا آخر سوى أنها أهملت الجذور الاجتماعية للإنسان، بعبارة أخرى أن الإنسان الفرد الألماني ليس هو الفرد الأندونيسي، فيقول «لكي تؤتي النظريات الاقتصادية تأثيرها الاجتماعي يجب ألا يقتصر في دراستها على منصة الجامعة بوصفها علمًا وقفاً على بعض المتخصصين، بل يجب أن ينطبق هذا العلم على التجارب الجماعية التي يقف فيها وعي كل فرد وإدراكه أمام المشاكل المادية"[1]، ومن هنا يتضح كيف أن الاقتصاد مرتبطٌ بالقيم الأخلاقية.

أ/ أخلاقية المشروع الاقتصادي الإسلامي:

إن واحد من أهم مميزات المشروع الإسلامي للإقتصاد أنه مطبوعٌ وموجه بأخلاقيات الإسلام التي تحكم حركة الاقتصاد برمتها وتقيم تعادلاً بين الحقوق والواجبات، بين الإنتاج والإستهلاك[2]، فأكدت الإفادات المالكية على ضرورة الترابط بين القيم الأخلاقية والاقتصاد، والحقيقة أن هذا الترابط يتجسد في المشروع الإسلامي للاقتصاد.

وهذا مايجدر بنا أن نلاحظ ترابط بين القيم الأخلاقية والاقتصاد قد أهملته الرأسمالية في نظريتها الإباحية إلى الاقتصاد، بينما نرى أن الإسلام أعز من قيمة النظام الاقتصادي في حفظ نظام المجتمع فيضرب لنا مثال «المتسول الذي أتى إلى الرسل ﷺ يسأل يوما عن لقمة

1 –مالك بن نبي، **المسلم عالم الإقتصاد**، المصدر السابق، ص18.

2– محمد جلوب الفرحان، **الخطاب النهضوي في فكر مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص245.

العيش من حقه أن يأخذها من المجتمع بنص من القرآن الكريم في الزكاة، وكان النبيﷺ أولى الناس بتطبيقه فأشارﷺعلى من حوله من الصحابة بأن يجهزوا هذا الفقير ليحتطب وأشار بأن يحتطب ليأكل من عمل يده»[1] فإذا حللنا هذه الأبعاد الخلقية لهذه القصة نرى بأن الرسولﷺ كيف اعتمد على الأخلاق في حل أزمة اجتماعية ومن خلالها حل الأزمة الاقتصادية، بعبارة أخرى فضل حلها في نطاق الواجب على الحق يعني أن هذا المتسول لا بد من أن يعمل وينتج ويقدم واجبه ليحصل على حقه.

إن النظر إلى الحركة الاتصادية في ضوء ميزان الحقوق والواجبات هي تأكيد على البعد الأخلاقي المتوازن، إلا أن رجحان كفة الميزان على حساب الكفة الأخرى فبالتأكيد سيترتب عليه تطرف إيجابي وسلبي مضر، ولعل خير الأمور أوسطها هي العدل[2] فخلق العدل ضروري للموازنة بين الواجبات والحقوق، إلاَّ أنَّ التركيز على مفهوم الواجب على الحق تكون بذلك المعادلة الاقتصادية إيجابية ينتج عنها فائض الإنتاج على الإستهلاك.

ب/ الترشيد الإسلامي في المجال الاقتصادي:

كما أشرنا سابقا أن التشريع الإسلامي قد وضع الأسس والمبادئ للنظام الاقتصادي للدولة وبالتالي يرى مالك بضرورة الأخذ بالمشروع الإسلامي للإقتصاد، وللإقلاع الاقتصادي لابد وبالتحديد الإستقلال عن طريق هيمنة النظم الاقتصادية المتداولة في العصر الحالي.
فالمشروع الديمقراطي في المجال الاقتصادي يقوم على المبادئ العامة التي تهدف إلى توزيع الثروة حتى لا تصبح بين أيدي بعض المترفين، فعندما يقرر القرآن الزكاة فإنه يضع أساس التشريع الاجتماعي عام، قبل أن تندرج في عالم الأفكار الاجتماعية التي ألفناها فيه اليوم[3] فالإشتراكية قبل أن تزعم بأن أهم مبادئها هي توزيع الثروة والمساواة بين الأغنياء والفقراء،

1 –مالك بن نبي، المصدر السابق، ص87.

2 –محمد جلوب الفرحان، **الخطاب النهضوي في فكر مالك بن نبي**، المصدر السابق، ص246.

3– مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، المصدر السابق، ص158.

لابد أن نعلم بأن الإسلام قد جاء بضرورة هذا المبدأ قبلها، حيث يقول الرسول ﷺ "إن الله اقتطع من أموال المسلمين الأغنياء نصيبا هو نصيب الفقراء، لأن الفقراء لا يجعون ولا يعرون إلا بسبب الأغنياء"[1] هنا يتضح عظمة هذا الدين عندما أقر الإسلام بفكرة الزكاة وجعلها ركن من أركانه وجعلها أيضا فريضة على الأغنياء والقادرين عليها.

فعندما أقر الإسلام مبدأ الزكاة التي وضعت في ضمير كل مسلم قادر عليها، فإنه كذلك يقر بمبدأ تحريم الربا في المعاملات التجارية حيث يقول «ثم يقرر الإسلام مبدأ آخر يضعه كأساس لبناء الاقتصاد: وهو مبدأ تحريم الربا فكان لهذا التحريم الأثر الكبير في تحديد صورة الاقتصاد الإسلامي، لأنه لا يسمح بالتجارة في المال والنقود التي تقوم على مبدأ الربا وتحكرها بعض البنوك»[2]، بمعنى أن الإسلام عُنِي بمنع احتكار على التجارة كما منع احتكاره على طبقة معينة أو لبعض الأفراد مثلما ما هو موجود في النظام الرأسمالي لذلك يقول بأن «التشريع الإسلامي أعفى الاقتصاد من سلطة الدرهم المطلقة تلك السلطة التي أحدثت في البلاد المتطورة والتي أحدثت أزمات، وربما وجب القول بأنَّ هذا التشريع لم يخفف من حدة الدرهم في المجال الاقتصادي فحسب، بل خفف من حدته في المجال الروحي إن صح التعبير، حتى أنه يعفي المجتمع من الأزمة الأخلاقية المتفشية اليوم التي ستضئ بأضواء الحضارة الغربية»[3].

1- المصدر نفسه، ص158.

2- المصدر نفسه، ص159.

3- مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، المصدر السابق، ص159-160.

المبحث الثاني: مكانة ودور الأخلاق في بناء المشروع الحضاري.

وكما أشرنا أنفا أنَّ الأخلاق هي الجوهر الأساسي للبناء الحضاري فهي ضرورية بالنسبة لمؤسسات المجتمع لكل من التربية والسياسة والاقتصاد، وبالتالي تضمن التقويم السليم للنهوض والإقلاع الحضاري، لذا فإن دورها وأهميتها ليست بالهينة، فهي الركن الأساسي للحضارة.

المطلب الأول: مكانة الأخلاق في البناء الحضاري.

الأخلاق لها مكانة كبيرة وعميقة في تثمين الوعي بالبناء الحضاري وضبطه وتقويمه على أساسٍ صحيح، ومصدرها الجوهري هي بالدرجة الأولى بتعبير مالك بن نبي الفكرة الدينية التي تدخل كعامل لضبط البنى الحضارية، فمالك دائما مايرى بأنَّ أساس أي مشروع تغييري يعود بالدرجة الأولى للفكرة الدينية، وبالرجوع إلى التاريخ لأمجاد البشرية للبحث عن مصداقية هذه الفكرة فإننا بالضرورة نجد أن الدين كان وراء كل الإنجازات البشرية الحضارية محددا ذلك بأن أي مجتمع يريد النهوض لابد عليه أن يولي الاهتمام البالغ للمعادلة الحضارية: (الإنسان+التراب+الوقت) لكنها تبقى ساكنة دون إحداث ديناميكية فيها من خلال دخول الأخلاق أو الفكرة الدينية لإحداث الشرارة الروحية فيها .

ومكانة الدين في الحضارة هو العامل المركب لعناصرها، واختفاء هذه المكانة يعني تحلل هذه العناصر أي تحلل الحضارة، فمالك بن نبي يرى أن هذه الفرضية تنطبق على جميع الحضارات[1]، والدين هنا ليس فقط القيام بالعبادات بل كيف يكون عامل مهم في التأثير على سلوك المجتمعات وتغييرها وكيف يوجهها إلى طاقات حيوية ديناميكية.

فالأخلاق الإسلامية ليست أخلاقاً ميتافزيقية أو يوتيوبية، وإنما تتمثل في الضبط النفسي والاتزان الشخصي، وهي في نفس الوقت جوهر الواقع حيث تستمد حقيقتها منه، فهي لا تنتمي لعالم المثل الذي يفصل الإنسان عن واقعه الاجتماعي والمادي، وإنما تتسق وتنسجم مع طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع. ويجب في البداية التسليم بالعلاقة الارتباطية بين الأخلاق والحضارة ذلك أنه مادامت هناك قيم وأخلاق ومثل مرتبطة بالإنسان وإرادته وهذه الإرادة لا يمكن أن

1- محمد شاويش، **مالك بن نبي والوضع الراهن**، المرجع السابق، ص29.

تكون واقعًا معاشًا تحيا فيه الحضارة وتنمو وتتقدم[1]، فمن خلال هذا الارتباط يكون فيه الإنسان هو المحرك والفاعل في التغيير أو الترك، فالأخلاق بتدخلها لمفهوم الحضارة أضفت الصفة التكاملية عليها.

مالك بن نبي يحذِّر المجتمعات الإسلامية من خطر التخلي عن الدين حتى لا يسود الفراغ الروحي عكس استغلاله لصالحهم في تحصينهم من تبعية الآخر في شتى المجالات، فالأخلاق لا تزدهر ولا تكون رصينة مؤثرة في الحياة الاجتماعية مالم تسقَ من ماء الإيمان، فالإيمان المؤسس على المحبة والأخوة، وهو الذي يعطي الأخلاق قوتها الدافعة وهو الذي يوقظ في النفوس مخافة الله[2]، هذا ما جعله يؤكد على أنَّ «العلاقة الروحية بين الله والإنسان، هي التي تلد العلاقة الاجتماعية وهذه بدورها تربط مابين الإنسان وأخيه الإنسان أي تلدها في الصورة القيمية الأخلاقية"[3]، ولاريب في أن هذه العلاقة التي تربط بين الفرد وأخيه هي التي تجعل منه المحرك الفعَّال والجوهري لأي تغيير كان وتسد بها الفراغ الاجتماعي. فالمكانة التي تلعبها الأخلاق تعد سببًا مهمًا في إحداث النهضة الحضارية كونها المحفِّز الفعال في ضبط وتهذيب سلوكات الأفراد كما أنها تربطهم ببعضهم وتصنع منهم لبنة واحدة.

أ/ مكانة الأخلاق في تكوين شبكة العلاقات الاجتماعية:

يقوم المبدأ الأخلاقي عند مالك بن نبي ببناء شبكة علاقات اجتماعية بشكيل عالم الأشخاص، فمالك بن نبي دائما ما يركز على دور البعد الاجتماعي للأخلاق من خلال سلوك الفرد وإسهاماته الفعالة في عملية البناء الحضاري.

حيث يمثل المبدأ الأخلاقي الإسمنت الذي يقوم بضبط عالم الأشخاص ويجعل من الإنسان كائنا اجتماعيًا رساليًا، وهو الذي يحدد للثقافة خصوصيتها[4] فيقول: «ولما كانت شبكة الصلات الثقافية عبارة عن تعبير عن العلاقات الشخصية في مستوى معين، فإنَّ هذه الشبكة

1-العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص342.

2- العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص 356.

3- مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، المصدر السابق، ص56.

4- الكبار عبد العزيز/صغير نجاة، **التربية والتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص204.

لا يمكنها أن تتكون دون مبدأ أخلاقي، وهذا الجانب من القضية قد أصبح واضحًا الآن، فإنَّ شبكة الصِّلات الثقافية تختل حتمًا في بلد ما إذا اختل فيها المبدأ الأخلاقي"[1]، وهذا إن دل على شيئ فإنَّه يدل على المكانة الكبيرة التي تلعبها الأخلاق في فعالية المجتمعات التي تزيد بقدر ما يزيد فيها تأثير المبدأ الأخلاقي وتنقص الفاعلية بنقص تأثيره، لأنَّ دورها مهم في بناء عالم الأشخاص.

ولهذا فإنَّ تورُّم الذات وتضخُّمها هو إشارة لتمزق وتحلل العلاقات الاجتماعية، ويتساءل مالك ماذا كان يمكن أن يحدث في مجتمع مريض لو أن خليفة من طراز عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يعزل رجلا كخالد بن الوليد رضي الله عنه من قيادة جيش الشام، لقد كان فعل الخليفة دون عقدة وتقبله خالد دون عقدة أيضا لأن علاقتهما علاقة سوية منزهة ولو حدثت هذه الحادثة في المجتمع الإسلامي بعد قرنين أو ثلاثة لكانت كفيلة بزلزلة العالم الإسلامي[2].

ونظرًا للأثر الذي تقوم به شبكة العلاقات الاجتماعية في بناء المجتمع التاريخي، إذ اعتبر مالك بن نبي الوضعية التي تكون عليها هذه الشبكة بمثابة المرآة العاكسة لحُظْوَة التطور في المجتمع أو تخلفه...ومن جهة أخرى فإنَّ كثافة هذه الشبكة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تمت عملية تربية الفرد وتكييفه وإدماجه اجتماعيًا بشكل ناجح[3]، ومنه تكون شبكة العلاقات الاجتماعية المنطلق الأساسي لأية نهضة.

المطلب الثاني: دور الأخلاق في البناء الحضاري.

إنَّ الأخلاق هي المرآة التي تعكس ثقافة الشعوب المختلفة لرؤية مدى تطور الأمم، وتقاس بنسبة رقي أفرادها، فهي أساس وجود الاجتماع الإنساني وبدونها لن يكون هناك

1- مالك بن نبي، **تأملات**، المصدر السابق، ص148.

2-أرفيس علي، **إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في فلسفة الحضارة، 2012/2011، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص142.

3-عمر النقيب، **مقومات مشروع بناء حضارة**، المرجع السابق، ص184.

اجتماع، فهي التي تردع الإنسان عن تجاوز أخيه فتدفع أنانيته وجبروته، فأهميتها تتوقف على تحديد مصير تطور الشعوب والمجتمعات.

وعليه فإنَّ الحديث عن مشكلات الحضارة التي تتخبط فيها الأمة الإسلامية هو في الأساس الحديث عن مشكلات الحضارة كما أوردها مالك بن نبي، فما تعانيه هذه الأمة من تخلف وجهل وانحطاط كان نتيجة تنازل عن دور وأهمية القيم الروحية والإنسانية[1]، لهذا كان مالك بن نبي متمسك في دعوته إلى التغيير، فهي من أولويات مشروع النهوض الحضاري، فالتغيير الذي يقيمه الأفراد باعتبارهم النواة الأولى للمجتمع الذين يصنعون التاريخ.

ولقد أورد مالك بن نبي أن المسألة لاتتمثل في تلقين أو إعادة تلقين المسلم عقيدته ولكنها تتمثل في إعادة تلقينه استخدامها وفعاليتها في الحياة، فالتغيير الاجتماعي عنده هو بالأساس تغيير على مستوى السلوك الفردي فكل عمل على تغيير الواقع المريض لهذه الأمة لابد أولا من معالجة الفرد في أخلاقه وعقلانيته[2]ومنه فمالك ارتأى إلى التركيز على المشكلات الواقعية كي يجسد لها حلولاً واقعية أكثر ومناسبة لها، وهذا يدل على تخطيه للتفسيرات السطحية التي وقع فيها السابقون عليه في معالجتهم للوضع الراهن في العالم الإسلامي.

والناظر لفكره يلاحظ عنايته الكبيرة بالأخلاق، مركزًا على الوظيفة العليا لها في بناء الحضارة على أسس متينة، وأهميتها تكمن في أنَّ المقوم الخلقي يربط بالجانب الروحي من الكيان الحضاري ذلك لأنَّ الوعي الخلقي ظاهرة ذاتية باطنية، لذا يستند الوعي الخلقي إلى الجانب الديني لما فيه من قدرة للرقابة الباطنية على الذات[3]، ولذلك فالأخلاق دائمًا تستمد دعامتها من الجانب الروحي الذي به تستقر سلوكات الأفراد، وعليه فالأمة اليوم بحاجة أكثر للدعامة الروحية أكثر من أي وقت مضى لتطهير النفوس لتخليصها من القيود الفكرية والنفسية التي أثقلت كاهلها، وما أحوج الأمة لمثل هذا التغيير.

1- قرواز الداودي، **فلسفة التغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي**، مجلة العلوم الإجتماعية محمد لمين دباغين، العدد25، 2014، سطيف، 02.

2- المرجع نفسه، ص04.

3- العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص392.

حيث يؤكد غوستاف لوبون (Gustave le Bon) أنَّ «الروح الدينية مثلت دوراً أساسيًا مهمًا في حياة الأمم؛ وذلك لأنَّها كانت العامل الوحيد القادر دائما على التأثير في أخلاقها بسرعة، إنَّ الأمة التي يهمين عليها المعتقد لا تغير مزاجها النفسي، غير أنَّ جميع ملكاتها توجه بذلك إلى غرضٍ واحد، تتوجه إلى نصر معتقداتها، فتصبح قوتها هائلة لهذا السبب تقوم بتشييد الدول التي تدهش التاريخ، ومن ذلك بعض القبائل العربية التي اتحدت بفكرة محمد قَهَرتْ في سنين قليلة أممًا كانت لا تعرف منها حتى أسماءها فأقامت إمبراطورية واسعة[1]، ذلك بأن الدين ذو أهمية لاتنكر في حياة الأمم والشعوب والتاريخ يشهد بذلك كيف أن الأمة العربية في زمن الرسول ﷺ انطلقت من الصفر من حيث الإمكانيات في وضعها هذا نراها منذ اللحظة أولى بأنها قادرة على كل شيئ، وبالفعل ما أنجزته ظل يطرب التاريخ بأسره.

فقد جاء الإسلام خاتمًا للديانات السماوية، واقتضت الخاتمية هذه أن يحوي كل أدوار البشرية وهو الدين الوسط الاعتدالي بين الروحية والمادية، فكانت الدعوة إلى المثل العليا الأخلاقية[2]، فالحياة المثالية والإنسانية لا يمكن تحقيقها في نظر الإسلام إلاَّ إذا اتسمت بالسمة الأخلاقية الأصيلة، فأفضل الناس أنفعهم لبعضهم فإذا كانت الأخلاق في نظر المذاهب الفلسفية ركيزة أساسية فإنَّها في الإسلام أبلغ من ذلك فأول مايُحاسب به الفرد هو فساد فعله لقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[3].

وأهمية الأخلاق بالنسبة لمالك بن نبي توصلنا إلى:

أ/اليقظة:

فلابد أن يترسخ في ضمير كل فرد التخلص من فكرة ضرورة التبعية للآخر وجعله مثالاً له بل وأَمَرْ من ذلك الانصهار فيه، بدل من ذلك الرجوع إلى أدبياتنا التاريخية لرؤية مدى عظمة الإنجاز الذي حققته الحضارة الإسلامية، ليس الوقوف على أطلالها والتحسر بدل

1-غوستاف لوبون، **السنن النفسية للتطور الأمم**، المرجع السابق، ص119.

2- مصطفى عبده، **فلسفة الأخلاق**، مكتبة مدبولي، ط2، 1999، القاهرة، ص95.

3-سورة هود الأية/117.

بذل مجهود لاسترجاع تلك العظمة وزرعها في النفوس فلا بد من إيقاظ هذا الضمير في عملية النهوض الحضاري فيقول مالك «فإن ضميره هو الذي يعطي لعمله معنًى تاريخيًا وأخلاقيًا، وهكذا يعمل الإنسان بداعٍ من طبيعته من أجل الحفاظ على النوع بوحي من الضمير من أجل تقدمه»[1]، فإذا كان الضمير يقظًا فإنَّ أسباب العطل في الحياة تتقلص وتتضاءل أمام قدرته على تحقيق بواعث النهضة، ذلك لأنَّ الحاجة لا تكون فعَّالة خلاقة إلاَّ حين يمنحه الضَّمير من روحه ما يحيلها عملاً ملتزمًا[2] فلا تكون هناك نهضة وتقدم إلاَّ من خلال يقظة الضَّمير وعمله الأخلاقي ورفع روح التحدي لدى الفرد.

1- مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، المصدر السابق، ص ص 70-71.

2-العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، المرجع السابق، ص380.

خلاصــة:

في خلاصة ما ذكر نستنتج أنَّ الأخلاق تحتل مكانة ركيزية في فكر مالك بن نبي لأنها تعد شرطًا أساسيًا في تحقيق النهوض الحضاري، من خلال دخول العنصر الروحي فيها كونه الضَّابط الأساسي للعمل الأخلاقي وللقيم الأخلاقية.

فقد تناولنا كيف أنَّ الأخلاق لها علاقة بالتربية والسياسة والاقتصاد، فالأخلاق تعدُّ عنصرًا توجهيًا للتربية، كونها عملية تحضير لسلوك الإنسان وكيفية تعامله مع غيره في المجتمع، بالإضافة إلى علاقتها بالسياسة من خلال دخولها لضبط ترشيد العمل السياسي، فهي أحد ركائزها، فالسياسة دون أخلاق ماهي إلاَّ خراب الأمة، على غرار ارتباطها بالاقتصاد، فهي تسعى إلى بناء وتشييد إنسانٍ منتجٍ وفعَّال قبل إنشاء المادة، فالأخلاق هي أساس نجاح الاقتصاد وتطوره.

أما عن مكانتها ودورها فلا يسعنا قول غير أنَّها تقتصر على جعل شبكة العلاقات الاجتماعية متحدة ومتماسكة بالأخلاق الإسلامية، فهي ضرورية لدفع الحضارة نحو التقدم والنهضة، ومالك بن نبي أولى عناية كبيرة لمكانة الأخلاق التي لطالما كانت جوهر الحضارات منذ القدم ولا غنى عن دورها في ربط العلاقة بين الإنسان وخالقه وبين الأفراد داخل المجتمع.

الخاتمة

وفي الأخير لا يسعني إلاَّ أن أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، هاهي القطرات الأخيرة تحط في هذا البحث معلنةً عن نهايته، لكن الموضوع لا ينتهي إلاَّ وتطرح أسئلة أخرى تحتوي هذا الموضوع وذلك لغزارة فكر مالك بن نبي.

وفي ختام دراسة هذا الموضوع توصَّلت إلى مجموعة من النتائج من بينها:

✓ أنَّ مالك بن نبي مفكر جزائري ومن أبرز المفكرين المسلمين، عاش فترة تحولات كبرى وذاق الأمرَّين أولهما الاحتلال الفرنسي للجزائر وثانيا ما آلت إليه الأمة الإسلامية من تراجع بهذا عُني بمعالجة هذه القضايا، لأنَّ فكره هذا لم يأتِ من فراغ، فقد ساهمت مصادر عدة في بلورة فكره وتحديد اتجاهه وتكوَّنت لديه أفكار ورؤى جديدة طُرحت على شكل مؤلفات ألمَّت بجميع مشاكل العالم الإسلامي دون استثناء.

✓ تعتبر الحضارة عند مالك بن نبي بمثابة حجر أساس لفكره، فالهدف من تعرضه هو النهضة بعالم يعيش التخلف، فلا يقوم المجتمع ولا يعرف االإستقرار إلا بفاعلية الإنسان، هذه الفاعلية لا بد أن تمارس في الحضارة، وبها يصبح المجتمع متحضرًا يسير نحو التقدم عكس المضي نحو التخلف والفوضى، فهو ينظر للحضارة بعناصرها الأساسية المتمثلة في (إنسان وتراب وزمن) باعتبارهم جوهر التغير، لكن هذه العناصر حسبه لا تجدي نفعًا إذا لم يكن هناك جامع بينهما ألا وهو الفكرة الدينية، فهي التي تميز فكره الحضاري، فيوظفها مالك بن نبي في دراسة ظاهرة الحضارة في قيامها وسقوطها، فدورها لا ينحصر فقط على تركيب الحضارة وإنَّما تهدف أيضًا إلى تشكيل القيم الأخلاقية التي تضبط سلوك الأفراد داخل الجماعة .

✓ فالفكرة الدينية وما تشمله من قيم إنسانية وأخلاق ونظم تعد بمثابة مواد خام لصناعة حضارة، لكنها تحتاج إلى مساعي أفرادها وجهودهم لتحقيق تلك القيم، فمالك بن نبي كان من أشدِّ الدُّعاة إلى الأخلاق التي رأى بأنَّ غيابها اليوم عن الساحة كان سببًا في ضياع الأمة وجرها نحو الانحطاط نتيجة ابتعادها عن القيم الأخلاقية الإسلامية.

✓ كما وقف مالك بن نبي حول الأسباب الحقيقية التي أدَّت بعجز العالم الإسلامي وركوده في تحقيق النهوض، فيرشح مالك بغياب التشخيص الحقيقي للوضع نسج عنه اختلاف في

التفسيرات وكل تفسير يُطرح على حساب مصلحته وأيديولوجيته ناهيك عن الاستعداد النفسي للشُّعوب الإسلامية لقابلية الاستعمار فأصبح دليلاً لتصورات مغولطة اعتمد المستعمر على ترسيخها فيه، ليضيف مالك لكي نحرِّر الاستعمار من الأرض لا بد أولا تحريره من أنفسنا وبعدها تحرير الأرض، هذا ما يسمى بالاستقلال الحقيقي.

✓ عالج مالك بن نبي الأخلاق وفق منظور جديد، فهو أخرجها من بوتقة التجريد الفلسفي المتعالي ليربطها بواقع سلوك الإنسان الذي بيده التغيير من أجل الارتقاء، فهي العنصر الجوهري لأي تحول في المجتمات والأمم، لأنَّ إعادة بناء الإنسان من مظور أخلاقي هو إعادة بناء الحضارة، فالأخلاق توجد بوجود التاريخ والحضارة وتنعدم بعدمه فإذا قام الإنسان بالرجوع إلى تاريخ الأحضان الزاهرة لحضارته ليجد أنها كانت مبنية على أساس ديني أخلاقي متين فهي تستمد منه الدوافع والغايات التي تحدِّد للمجتمع التاريخي وجهته.

✓ أمذَا عن علاقتها مع البنى الحضارية المتجسدة في التربية والسياسة والاقتصاد وبناءً على ماتقدم يتضح أنَّ الأخلاق هي أولى مقومات التربية لأنَّها عملية اجتماعية ونفسية تساهم في صناعة الإنسان وتقويمه لتحقيق الفاعلية والتماسك الاجتماعي لتكوين وحدة تاريخية، فالفاعلية تزيد وتنقص بقدر مايزيد المبدأ الأخلاقي أو ينقص، فهي شرط أساسي لأفعال الأفراد، كما هي شرط أساسي وضروري للعمل السياسي، فيقر مالك بن نبي أنَّ التجانس بين عمل الدولة وعمل الأفراد ينبغي أن يقوم على العامل الأخلاقي، فالسياسة دون أخلاق ما هي إلاَّ خراب للأمة كما حثَّ على ضرورة ابتعاد عن النموذج الغربي الذي فصل السياسة عن الأخلاق وكرَّس مبدأ الغاية تبرِّر الوسيلة التي طغت على التجسيد السياسي، ليمرَّ بحديثه إلى الاقتصاد، فالمشكلة الاقتصادية برأيه هي نفسية بالدرجة الأولى نتيجة إحباط العالم الإسلامي وتقزيم نفسه أما التطور الغربي ولعلاج هذه الحالة المتدهورة للاقتصاد فيرى أن ننطلق من فكرة التحضُّر الذي يولِّد فكرة الوعي وغرسه في سواعد الأفراد فالتغيير النفسي ضروري للتغيير الاقتصادي .

✓ ومن هنا نجد أنذَ مالك بن نبي يناشد بضرورة ربط الأخلاق الإسلامية بجميع المجالات، لما لها من مكانة ودور في تنمية ونهضة المجتمعات وبعبارة أوضح حتى يمكننا النهوض لا بدَّ أولا بتنقية أفكارنا المرسخة لفكرة الإحباط وثانيا أنَّ هذه التنقية لاتأتي إلاَّ بفكر جديد يحثُّ على النهضة.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرأن الكريم.**

➢ **المصادر:**

1) مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط4، 2000، دمشق.

2) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دط، 1986، دمشق.

3) مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 2006، دمشق.

4) مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، تر عبد الصبور شاهين، دارالفكر، دط، 2002، سوريا.

5) مالك بن نبي، **فكرة الإفريقية الأسيوية**،تر عبد الصبور شاهين،دار الفكر،ط3، 2001، سوريا.

6) مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 2001، سوريا.

7) مالك بن نبي، **فكرة الكمنوليث الإسلامي**، تر الطيب الشريف، دار الفكر، ط1، 2000، سوريا.

8) مالك بن نبي، **تأملات**، دار الفكر المعاصر، ط1، 2002، بيروت.

9) مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، دار الفكر المعاصر، دط، 2004، بيروت.

10) مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، دار الفكر، ط3، 2000، سوريا.

11) مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، دار الفكر، ط1، 2002، سوريا.

12) مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، دار الفكر، ط1، 2002، سوريا.

13) مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن الطفل**، تر مروان القنواتي، دار الفكر، ط1، 1969، دمشق، **مذكرات شاهد للقرن الطالب**، تر مالك بن نبي، دار الفكر، ط2، 1970، دمشق.

14) مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، تر بسام بركة/أحمد شعبو، دار الفكر، ط1، 2002، سوريا.

15) مالك بن نبي، **دور المسلم ورسالته**، دار الفكر، ط1، 1991، سوريا.

16) مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، دار الإرشاد، ط1، 1969، بيروت.

17) مالك بن نبي، **العفن**، تر نور الدين خندودي، شركة دار الأمة، ط1، 2007، الجزائر.

➢ **المراجع:**

18) الطاهر سعود، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، دار الهدى، ط1، 2006، بيروت.

19) الجاحظ، **تهذيب الأخلاق**، دار الصحابة للتراث، ط1، 1989، مصر.

20) الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ في حركة التاريخية وتفسير التطور الحضاري عند مالك بن نبي**، دار الخليل، دط، 2013، الجزائر.

21) آمنة تشيكو، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1989، الجزائر.

22) أرنولد توينبي، **الحضارة في الميزان**، تر أمين محمود شريف، دار إحياء، دط، 1948، القاهرة.

23) ألبرت شفيتزر، **فلسفة الحضارة**، تر عبد الرحمان البدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، دط، د س، القاهرة.

24) العبدة محمد، **مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي**، دار القلم للنشر والتوزيع،دط، 2006، دمشق.

25) الجيلاني ضيف، **بناة المجد–مالك بن نبي**، دار الخلد، ط1، 2013، الجزائر.

26) بن براهيم الطيب، **مالك بن نبي وإبن خلدون**، دار المدني، دط، 2002، د ب.

27) بودقزدام عمران، **التجديد في المشروع النهضوي عند مالك بن نبي**، دار الهدى، دط، 2015، الجزائر.

28) بن حمد العويسي عبد الله، **مالك بن نبي حياته وفكره**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2014، بيروت.

29) جيلالي بوبكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة، دط، 2010، الجزائر.

30) حمدي زقزوق، **مقدمة في علم الأخلاق**، دار القلم، ط3، 1989، الكويت.

31) رشيد أوزار، **مالك بن نبي والعودة إلى الذات الفاعلية والسننية**، مركز الراية للتنمية الفكري، ط1، 2006، دمشق.

32) زكي ميلاد، **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة**، دار الفكر المعاصر،ط1، 1998، بيروت.

33) سعيد جودت، حتى يغيروما بأنفسهم، دار الفكر العربي، ط3، 1977، دمشق.

34) سليمان خطيب، **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1993، لبنان.

35) شاويش محمد، **مالك بن نبي والوضع الراهن**، دار الفكر، ط1، 2007، سوريا.

36) عمر النقيب **مقومات بناء إنسان حضارة في فكر مالك بن نبي**، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط1، 2009، الجزائر.

37) عكاشة الشايف، **الصراع الحضاري في العالم الإسلامي**، ديوان مطبوعات الجامعية، ط2، 1988، الجزائر.

38) عبد اللطيف عبادة، **نصوص مختارة من مؤلفات مالك بن نبي**، مؤسسة عالم الأفكار، ط1، 2007، الجزائر.

39) غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، تر عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي،ط1، 2014، القاهرة.

40) فايز بن علي الشهري، **غوستاف لوبون**، المركز الثقافي للكتاب، ط1، د س، المغرب.

41) محمد جلوب فرحان، **الخطاب النهضوي في فكر مالك بن نبي**، سلسلة الدراسات حول مالك بن نبي، دط، 2014، د ب.

42) محمد المارودي، **تسهيل النظر وتعجيل الظفر**، دار النهضة العربية، دط،1981، بيروت.

43) محمد مهران رشوان، **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، دار القباء للنشر والتوزيع، دط، 1998، القاهرة.

44) مولاي خليفة لمشيشي، **مالك بن نبي–دراسة إستقرائية**، دار النايا، ط1، 2012، سوريا.

45) مصطفى عبده، **فلسفة الأخلاق**، مكتبة مدبولي، ط2، 1999، القاهرة.

46) نهى عبد العزيز/محمود يوسف، **دراسة في المذاهب الفلسفية**، أورنتال، دط، 2009،د ب.

47) يوسف سعد يوسف، **عظماء من العالم –غاندي**، المركز العربي الحديث، دط، د س، القاهرة، ص7.

➢ **قواميس ومعاجم:**

48) Le ptite Lrousse illustrée.2007.

49) الفيروز أبادي، **قاموس المحيط**، دار الحديث، دط، 2008، القاهرة.

50) أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، الموسوعة اللغوية الحديثة، ج2، 1958، بيروت.

51) إبن منظور، **لسان العرب**، دار الصادر، ط1، ج5، 2003، تونس.

52)جلال الدين سعيد، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، دار الجنوب للنشر، دط، 2004، تونس.

53) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج1، دارالكتاب اللبناني، دط، 1982، لبنان.

54) جورج الطرابيشي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، ط3، 2006، بيروت.

55) خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج6، دار العلم للملايين،ط15، 2002، بيروت.

56) روني إيلي ألفا، **موسوعة أعلام فلسفة العرب والأجانب**، ج1، دارالكتب العلمية،1992، بيروت.

57)روني ألفا، موسوعة **أعلام فلسفة العرب والأجانب**،ج2، دارالكتب العلمية،ط1، 1992،لبنان.

58) صلاح زكي، **أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث**، مركز الحضارة العربية،ط1،2001، القاهرة.

59)عبد القادر الجرجاني، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، دط، 1408هـ.

60) لويس معلوف، **المنجد في اللغة والأعلام**، دار دمشق،ط1، 19788، بيروت.

61) نقولا زيادة، **أعلام العرب المحدثون**، دار أهلية، دط، 1994، بيروت.

➢ المجلات والدوريات:

62) الكبار عبد العزيز/صغير نجاة، **التربية والتغيير الاجتماعي**، مجلة منيرفا، قسم العلوم الاجتماعية، مجلد04، العدد1، 2017، تلمسان.

63) بدران بن مسعود بن الحسن، **الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري-أنموذج مالك بن نبي**، كتاب الأمة، العدد43، 2000، قطر.

64) قرواز الداودي، **فلسفة التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين، العدد 25، 2014، سطيف.

65) لامية بوجيدي/كريمة مقاوسي، **الرؤية الإصلاحية في فكر مالك بن نبي، مجلة** الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة حمة لخضر، العدد19، 2016، الوادي.

➢ **الرسائل الجامعية:**

66) العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، 2014/2013، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

67) أرفيس علي، **إشكالية النهضة بين مالك بن نبي والسيد قطب**، مذكرة نيل شهادة ماجستير فلسفة الحضارة، 2012/2011، جامعة حاج لخضر، باتنة.

68) دوسن حليمة، **الهيكلة التربوية والاجتماعية في فكر مالك بن نبي**، مذكرة لنيل شهادة ماستر،2016/2015، جامعة محمد بوضياف، مسيلة.

69) نوال صوالح، **حركات التحررية في أمريكا اللاتنية**، مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر، 2019/2018، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

70) وردة بلطرش، **البعد الإنساني في أدب المنفلوطي**، مذكرة ماستر في الأدب العربي، 2015/2014، جامعة محمد بوضياف، مسيلة.

➢ **المواقع الإلكترونية:**

71) .http:www.mominoun.com.28/05/2021/14:09

72) .http://www.aljaziera.net. 29/05/2021/12:22

الملخص

الملخص:

عالجت هذه الدراسة مكانة الأخلاق في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي الذي يعد أحد أقطاب الفكر العربي والإسلامي المعاصر، وذلك بإبراز تفاصيل شخصيته وماقدمه من أفكار للنهوض بالأمة التي تعاني من مرض التخلف والركود الذي أثقل كاهلها.

مالك بن نبي فيلسوف شغلته قضية الحضارة ومشكلاتها وأسالت حبر قلمه فبحث عما يعانيه العالم الإسلامي محاولا تقديم حلول دقيقة، والتي من شأنها أن تبث روح التغيير لدى الإنسان كونه المحور ومركز الفاعلية في حركة الحضارة والتاريخ، وإبراز المكانة التي تحتلها الأخلاق في الحضارة، إذ تعتبر من منظور مالك بن نبي"منحة من السماء تأتيها مع نزول الأديان ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض"، والذي تصور أنها جوهر التغيير الاجتماعي ذلك من خلال تكوين شبكة العلاقات الاجتماعية متحدة تحت لواء الدين.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق؛ المشروع الحضاري؛ الإنسان؛ شبكة العلاقات الاجتماعية؛ القابلية للاستعمار.

Abstract:

This study is dealingwith moral standing in the civilization advancement project according to Malek ben Nabi who was considered to be one of the lone starts of the modern Arabic and Islamic mind, by highlighting the details of his personalty and what he offered in thoughts and ideas about the advancement of the nation which had been afflicted by deep stagnation and lack of progress.

Malik ben nebi was a philosopher who was so occupied with the issues and matters of civilization and devoted most of his studies on what the Islamic world had been going through, trying to offer fine sloutions that infuse the spirit of change in mankind as being the basic pivot and the center of effectiveness within the civilization movement and history, in addition to highlighting the basic role theat morality plays in civilization, from Malik point of view, this is considered to be the gift from above that came along the descent of religions and their importance to society which is to hold its members tight and as he imagined it to be the vital key to social change that forms a networm of social relationships united under the banner of religion.

Keywords: Morality; Civilization Projet/Plan; Human; Network of Social Relationships.